

حرير وجر اشف



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة في استنهاض وتأكيد الانتماء والوعي القومي العربي، في إطار المشروع الحضاري العربي المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافي والعلمي مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز إلى تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة في ما يصدر عن المركز تعبر عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

رئيس المركز

على عبد الحميد

## مركز الحضارة العربية

4 شى العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الحكيت كات - القاهرة

تليفاكس: 33448368 (00202)

[www.alhdara-alarabia.com](http://www.alhdara-alarabia.com)

E.mail: [alhdara\\_alarabia@yahoo.com](mailto:alhdara_alarabia@yahoo.com)

[alhdara\\_alarabia@hotmail.com](mailto:alhdara_alarabia@hotmail.com)

السعيد صالح

# حرير وجرأشف

روايه



الكتاب: حرير وحرافش

رواية

المؤلف: السعيد صالح

الناشر: مركز الحضارة العربية

الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١٢

الجمع والصف الإلكتروني: وحدة الحاسوب بالمركز

تصميم وجرافيك: محمد النور

011 11 83 503

رقم الإيداع:

٢٠١٢/١١٢٠٣

التقويم الدولي: 5-112-496-977-978

صالح، السعيد.

حرير وحرافش: صالح السعيد. ط١. - الجيزة: مركز

الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، ٢٠١٢.

١٧٦ ص: ١٤ سم.

تدملك: ٥-١١٢-٤٩٦-٩٧٧-٩٧٨

أ\_ العنوان

من عشق فعف، وكنتم فمات، مات شهيداً

(حديث)

## الغربة كُرية

إن الشهوات أقوى من الإرادات فهي التي

خلقت الدنيا ولا تزال تحملها

أنا تول فرانس



## ( ١ )

آدمز مورجان من أقدم أحياء العاصمة واشنطن دي سى، شأن المدرستين الابتدائيتين اللتين استمد منهما اسمه، واللتين كانتا رمزاً لهذه المنطقة. توماس ب مورجان المخصصة للطلاب السود وجون كوينسى آدمز للطلاب البيض. تاريخ طويل من الصراع والتفرقة العنصرية بل ومن الهجرة. فمنذ عام ١٩٦٠ وأصبح آدمز مورجان بوابة للمهاجرين من شتى بقاع العالم وخاصة من أمريكا الوسطى وأفريقيا، حتى صار الحي فى أيامنا المعاصرة بقعة مزدهرة بألوان الطيف الأنسانى تيداً عند تقاطع الشارع الثامن عشر شمال غرب وطريق كولومبيا، على بعد ميلين من البيت الأبيض. أصبح الحي منافساً لأشهر الأحياء بالعاصمة مثل دوبونت سيركل وجورج تاون من حيث الشعبية.

نهاره بمثابة معرض للفنون الحياتية والمهرجانات متعددة الأعراق بمبانيه ذات الألوان الزاهية المعتمدة فى بنائها على عمارة القرنين التاسع عشر والعشرين.

أما ليله فذو أجواء صاخبة لا تخبو ملاميه وحاناته الممتدة على طول شوارعه، تحيل الليل سرمدياً لا ينتهى عبر العديد من الخيارات التى تحقق المتعة والمرح لروادها.

فى ليلة هادئة نسبياً، لوقوعها فى بداية الأسبوع، تقف سيارة ستريتش فارهة فى أحد شوارعه الخلفية ذات الإضاءة الخافتة

– أه كم أشعر بالإجهد ، هل تجد المساج؟

أتلج صدره سماع هذه الجملة ، فهى الدعوة الرسمية لممارسة الحب ، قال فى حماس:

– إننى دارس له.

– عظيم ، إذن هلى يمكنك أن تريحنى من معاناتى؟

– بكل سرور.

قالها وقام مسرعاً منتقلاً للخلف ، خلع سترته ، جثا على ركبته فى مقابلها ، تحسس رقبته برفق ، بدأ يمسدها ببطء ، نزل بكفيه إلى ظهرها ، إقترب إلى نهايته ، لم تمنع عند ملامسته أردافها ، شعر بحبيبات رغبتها تنتشر فى أرجاء جسدها عندها قالها بثقة:

– هل تريدين ممارسة الحب؟

بدون تردد قالت:

– لا مانع.

استدارت ، رفعت ثوبها أعلى فخذها ، خلعت سروالها الداخلى ، خلصته من احدى قدميها وتركته معلقاً بالقدم الأخرى ، فى لحظات خلع بنطاله ، وامتهاها متذوقاً صنفاً جديداً من النساء لم يجريه من قبل.

\*\*\*\*\*

فى غضون ساعتين كان نديم يركن سيارته الخاصة أمام بيته الكائن فى إحدى ضواحي فرجينيا ، يقع منزله على الطريق العام يقابله غابة كثيفة الأشجار ، أقرب جار له على بعد خمسين متراً ، المنزل من طابق واحد يتكون من خمس حجرات وبهو واسع بالإضافة إلى حديقة خلفية لا بأس بمساحتها.

والخطو النادر، يجلس قائدها نديم الشاعر بداخلها منتظرًا زبائنه  
نظر في ساعته، مضى على دخولهم قرابة الساعة، أخذ يبحث في  
درج السيارة، أخرج معطرًا للشم، أطلق عدة دفقات داخل فمه نظر في  
المرآة، مازالت قسماات وجهه تحتفظ برونقها رغم تخطيه الخامسة  
والأربعين، مسح شعره بيده استعدّل رابطة عنقه، ثبت عينيه على الباب  
انخلفى للمهى، مترقبًا خروج إحدى زبائنه، تلك الصهباء التي رمقته  
بنظرات شهوانية، إنه يعلم أنها ستأتى، خبرته فى هذه المهنة تؤكد  
حدسه، ففى العادة عندما يعرف أن زبائنه من النساء يتولد لديه يقين  
بأنه سيتذوق طعم إحداهن، فغالبًا ما تكون بينهن من تبحث عن سد  
رمق شهوتها بممارسة الحب العابر أو من تعاني فراق الحبيب أو هجر  
الزوج فتبحث عن يهدى لاعمج شوقها.

رمق إحداهن تخرج من باب المهلى، دقق النظر، ابتسم لصدق حدسه،  
إنها هى بقوامها الممتلىء المتراقص داخل الثوب القصير الضيق، اقتربت  
منه، ترحل من السيارة لملاقاتها، بأدرته بابتسامه قائلة:

— لقد تعبت من الضجيج، هلّى يمكننى أن أستريح داخل  
السيارة؟

— بالطبع.

— أسرع فاتحًا باب السيارة الخلفى، تمددت على المقعد، وبصوت  
غانج:

— هل يمكنك أن تسمعنى بعض الموسيقى الهادئة؟

— بالتأكيد.

انساب صوت المذياع باعثًا نغمات البيانو لتضفى على السيارة جواً  
شاعرياً

استطاع نديم شراءه بعدما التحق بوظيفة ثابتة كمحرر بمجلة Art التابعة للمتحف الوطني للفنون وهي مجلة غير دورية تهتم بشتى ألوان الابداع الفنى . هذا بجانب عمله فى العطلات كسائق فى شركة ليموزين لمجابهة التزاماته . أدار المفتاح فى الباب ، استقبلته زوجته بادرها مبتسماً :

– علا حبيبتي .

يحتضنها ، طابعاً قبلة على شفيتها مسترسلاً :

– وحشتيني جداً .. أين الأولاد؟

– ناموا طبعاً ، الوقت متأخر .

تنظر له ملياً وبصوت ساخر:

– ماذا بك ؟ كأنك كنت تعدو داخل السيارة !!

بدا عليه بعض الاضطراب ، نظر إلى هندامه مجيباً :

– لمَ تقولين ذلك؟

– شكلك مرهق جداً !!

– آه سنبدأ موال الشك .

– أبداً يا حبيبي أنا فقط أريد أن أطمئن عليك .

– تصوري فقط خمس ساعات من القيادة والانتظار القاتل لأناس

تاهمين ، ماذا يفعلون بك ؟

– هل أعد لك شيئاً تأكله ؟

– لا لقد تناولت شطيرة بالخارج ، سأخذ دشا وأنا .

تقف تتابعه بنظرات تملؤها الريبة ...

أتعجب من تعلقه بهذه المهنة دون غيرها ، فلقد عُرِضَتْ عليه

أخريات، أيسر جهداً وأكثر دخلاً، لكنه فضل هذه قاتلاً بأنها تثيره بتعرفه على أنماط مختلفة من البشر، وتتيح له ممارسة هواياته من القراءة وسماع الموسيقى، لكنى فى قرارة نفسى أعلم جيداً أن هذه المهنة هى الباب السحري لإقامة العلاقات النسائية العابرة وأنا أعرف جيداً مدى تعلق زوجى بالنساء وولعه بهن، وها هو اليوم يأتى تقوح منه رائحتهن"

\*\*\*\*\*

يبدأ يوم نديم فى السادسة صباحاً، عندما يزقزق عصفوره الحديدي الرائد على الكومود المجاور لسريره عندها يقفز مسرعاً إلى الحمام ليغتسل، ثم يرتدى ملابسه على عجل، يعرج إلى المطبخ لإحضار شطيرتيه اللتين تعدهما علا ليفطر بهما فى عمله.

فى تمام السادسة والنصف يجلس خلف مقود سيارته الهوندا ذات الطراز العتيق، ينطلق بها على الطريق السريع لمدة ثلاثين دقيقة حتى يصل إلى **park and Ride** وهو مكان مخصص للموظفين المقيمين فى ضواحي المدينة بعيداً عن وسطها حيث أعمالهم فيركنون سياراتهم فيها بدلا من جراجات وسط المدينة باهظة التكلفة، ويستقلون **Bus Connector** وهى حافلة تصلهم إلى محطة مترو الأنفاق خلال عشرين دقيقة، يركب نديم المترو لمدة خمسة وأربعين دقيقة إضافية حتى يصل إلى عمله.

يمد يده إلى جهاز **Mp3** بالسيارة ليصيح صوت إيمان البحر درويش بأغنيته المفضلة مردداً معه مقطعاً منها

"أيدي واحدة وأنت إيدك يرضه واحدة .. مدى إيدك ويا أيدي .. امسحى دمة وليدي .. عايز أصرخلك وعاجز .. أسمعك أو تسمعيني ..

نفسى أقولك ألف حاجة بس آه لو تفهمينى"

نفس الأغنية كان صداها ينبعث من سيارة مارة بجانبى وأنا فى طريقى إلى السفارة الأمريكية وفى يدي خطابهم بأننى أحد الذين ربحوا اللوتارية التى منّ علينا بها بيل كلينتون بمناسبة دخوله البيت الأبيض ببساطة أصبحت أحد مواطنى أرض الأحلام.

نفس الأغنية كنت دائماً أرددّها عند خروجى من مقابلات العمل المحبطة الراضة لموهلاتى (ليسانس آداب قسم لاتينى تقدير عام جيد جداً مع إجابة تامة للإنجليزية واستخدام الحاسوب) خمس سنوات قضيتها فى البحث عن فرصة للعمل تناسب موهلاتى، لكنى أيقنت أخيراً أننى أفترق إلى مصوغ العمل الحقيقى المتداول فى مصر ألا وهو بواسطة وبلغتها الدارحة الكوسة . قول يا إيمان قول.

"شئ غريب حسيته لما كنت مرة بتحضننى .. يا بلدنا يا بلد هو من أمتى الولد بيخاف من أمه لما فى الضلمة تضمه .. صدقيني خفت منك خفت منك صدقيني"

فى عام ونصف فقدت حضن الأم، وسند الأب، ذابا حزناً على أخى الدكتور حمدى عندما رفض أن يستيقظ مؤثراً صحبة ملاك الموت، وجدت نفسى وحيداً بلا آمال ولا مال.

لا أعرف حتى الآن ما فعله معى الحاج حسنين صاحب العمارة، هل يوصف بالمعروف أم بالاستغلال عندما منحنى مبلغاً لا يستهان به للتنازل عن شقة العائلة، أتاح لى هذا المبلغ أن أتهياً لرحلة اللاعودة لأرض الأحلام، بل دعمنى هناك لشهور وجعلنى أتخير ما يلائمنى من أعمال مثل Cashier فى محل بيتزا، بائع فى محل ورود، تعودت ألا أعمل أكثر من ثماني ساعات أما باقى اليوم فهو للتمتع بطبيعة البلاد

وسحر تضاريس الفتيات.

فى تمام الساعة الثامنة وخمس دقائق صباحاً يصل نديم إلى مقر عمله لوقوع محطة المترو بجوار عمله عند تقاطع شارعى F مع رقم عشرة، المبنى يرجع إنشاؤه إلى القرن الثامن عشر ويحتوى على عدة مؤسسات وهيئات حكومية، كما يحتوى أسفله على عدة محال شهيرة مثل M & H للملابس الشباب Century ٢١ للملابس الحرىمى . يصل نديم لطابق مجلته، يفتح باب المصعد .

" كم أحب هذا المبنى بجدرانه العتيقة، وردهاته الواسعة أشتم فيه عبق التاريخ ورائحة القرنفل، التى يحبها خوسيه جونزاليس، هذا الرجل، قصير القامة، أصلع الرأس بجليونه الذى لا يفارق فمه طوال اليوم، عند رؤيته أتذكر أخى الأكبر رحمه الله".

– صباح الخير خوسيه .

خوسيه فى بداية الخمسينات، بلده الأم نيكارا جوا، رئيس تحرير المجلة، ذو عقل مستدير وقلب طيب لم يتردد لحظة فى قبولى ضمن فريق التحرير عندما رشحنى له صديقنا المشترك جان حداد.

صاح عند رؤيته لى:

– كيف حالك نديم ؟

– بخير وهما أنا أنتظر ما تكلفنى به للعدد التذكارى.

ستعرف فى اجتماع التحرير غداً .. اذهب الآن إلى مكتبك واتركنى أنهى الإعداد لهذا الاجتماع قالها ونفث سحابة من الدخان اختفى وجهه داخلها.

\*\*\*\*\*

إنفثت حدود مدينة واشنطن باحيائها مع مقاطعة كولومبيا

ليشكلا العاصمة ويكتبا متلازمين **Washington D.C** واشنطن نسبة لأول رئيس للولايات جورج واشنطن أما **D.C** فهو اختصار **District of Columbia** أى مقاطعة كولومبيا التى اشتق اسمها من كريستوفر كولومبس، واقتطعت من ولايتى فرجينيا وميريلاند، وتقع عند انقاء نهري بوتوماك وأنا كوستا وتحتوى المقاطعة على المؤسسات الفيدرالية التى تحكم الاتحاد لذا فهى تحت سيطرة الحكومة الفيدرالية وليست تحت حكم أى من الولايات .

من أشهر معالم العاصمة، الكابيتول هيل **Capitol Hill** وهو حي برع المهندس بييرشارلز ليفانت مبدع العاصمة فى تصميمه واختار قمته لكى يقيم عليها مبنى الكابيتول (بيت الكونجرس) كأنها قاعدة خاوية كانت فى انتظار نصبها ليزينها، وأمامه فرشت مساحة مشجرة فى نهايتها تقف شامخة مسلة كليوباترا التى اهدتها الحكومة المصرية للولايات المتحدة عام ١٨٨٠، وهى أعلى من أى مسله فى مصر حيث يصل ارتفاعها إلى ٥٥٥ قدمًا . ويحيط بمبنى الكابيتول مبانى المحكمة العليا، مكتبة الكونجرس والأنصبه التذكارية للرؤساء الراحلين أمثال إبراهيم لينكولن وجون كينيدي يشع من كافة المبانى نورانية الهندسة النيوكلاسيكية المتشربة بالمعمار الرومانى، حيث زخرفت بصور آلهة الأوليمب مثل أبولو وفينوس وجوبتر فيحيلك المنظر إلى مدينة روما القديمة ولهذا فى البداية أطلق الأوائل على عاصمتهم اسم روما . وفى عام ١٩٧٦ أدرجت المنطقة بأكملها ضمن المناطق التاريخية للبلاد .

يقبع الكابيتول هيل خلف مبنى الكابيتول من ناحية الشمال الشرقى للعاصمة، وهو أقدم الأحياء السكنية فيها وأكثرها اكتظاظًا بالسكان، أغلب بيوته متلاصقة وهناك بعض القصور

والفيالات المتناثرة فى أرجائه تعكس حقبات تاريخية مختلفة وتصاميم  
عمارة متباينة.

فى أحد شوارعه الراقية، تقبع إحدى الفيالات على طراز معمار  
الملكة آن، يرجع إنشاؤها إلى القرن التاسع عشر، يحيطها حديقة  
مشجرة، فى إحدى غرف نومها تقف دجيسىكا هوفمان عالمة الآثار  
بالمتحف الوطنى للفنون، تنزع ثيابها فى عجالة، تدخل الحمام لأخذ  
دش ساخن، تخرج ملتفة بإحدى المناشف، تسقطها لتقف عارية أمام  
المرآة بقوامها الممشوق المثير بتدويراته الرائعة، تسمح بيدها وجهها  
ذا الجمال الأخاذ، عينان زرقاوان، شفقتان ورديتان، نهدان فرنسيان  
يقفان فى شموخ. بدأت تكسو جسدها بكرىم ينبعث منه رائحة  
الخوخ، ترتدى قميص نوم قصير أسود اللون يبرز مفاتها، تطلق عدة  
دفقات من عطرها وراء أذنيها وبين نهديها .

تشعر بحركة خفيفة خلفها، تلتف، تجده أمامها، بقوامه الرياضى  
ووجهه الباسم، عندما تراه يفمرها هبة حب مشتعل، يقوم باحتضانها،  
يشم رحيق شعرها، يدفن وجهه بين نهديها، يطرحها على الفراش،  
تعربد يدها فى تفاصيل جسدها، ينفذ لها أوضاعها المحببة، بعد  
فترة، استكانت حركة السرير، هدأت الأنفاس المتلاحقة، ضربات  
القلب المتسارعة، ارتجافة الأجساد التى انفصلت فى تراخى، استدار  
فى مواجهتها:

— وحشتينى جداً جيسى أسبوعان لم أرك.

ابتسمت له مداعبة:

— ألم تشبعك زوجتك هذه الفترة؟

— جيسى أنت لا يعوضك أحد.

— أنت كاذب كبير.

— هل كانت رحلتك موفقة إلى نيويورك؟

— لقد أنقذنا إحدى لوحات شاعرك المفضل خليل جبران من التلف.

— أى واحدة.

— إنها لوحة الخريف، هل تعلم ماذا كتب بأسفلها لعشيقتة

الأمريكية ماري هاسكل؟

تنظر فى عينيه قاتلةً:

”من الآن وصاعدًا ستحمل جميع لوحاتي أحرف اسمك الأولى داخل

دائرة ليرى الناس رمزًا للخير والحب والإيمان الحقيقي“

— أليس هذا جميلًا نديم، ألا يسترعى انتباهك أنها أمريكية وهو

شرقى، نفس حالنا أليس مصادفة جديرة بالملاحظة.

— لكن جبران كان له أكثر من عشيقة .

— تريد أن تكون مثله؟

— جيسى أنت تملتين على حياتي.

— أيها الكاذب.

وقف فجأة:

— آه لقد أحضرت معى طعامًا ، لا تقومى من فراشك، دقائق

وسأجلبه لك ، لقد تركته فى الطابق الأرضى ، أنا لا أعلم لماذا

تعيشين فى هذه الفيلا الكبيرة ؟

— إننى عالمة آثار وأحب أن أحاطل بها ، وهذه الفيلا تحفة معمارية

خالدة ثم إنها سكن إدارى تابع للمتحف.

يتركها ويهبط مسرعًا ، دقائق ويناولها طبقًا به شطيرة وزجاجة

بيرة مثلجة ، تناولته منه ، نظرت فيه ملياً ثم قالت ضاحكة:

— أنسيت أنني يهودية .

— وما دخل ذلك فى الطعام ، إنها مجرد شطيرة هامبورجر بالجبن.

— نديم هذا مخالف للأطعمة الشرعية لنا (الكوشير).

ينظر لها باستغراب ، تسترسل:

— نعم فى اليهودية يحرم الجمع فى الطعام بين الأم وجنينها وها أنت

تأينى بلحم الابن يجاور الجبن المصنوع من لبن الأم .

— أول مرة أعرف أنك متمسكة بالشرائع الدينية .

— أنا كما تعلم متحررة فى كافة شئون حياتى ، لكن لا تتس أن

عمى حاخامٌ فقد تربيت على مثل هذه الأشياء ، فأصبحت عادة أكثر

منها إتباعاً لناموس الشريعة .

تنظر له بدلال قائلة:

— ألا تعلم لماذا أسلمت لك جسدى لتعبث به؟

— لماذا؟

— لأننى أعلم أنك مختون منذ طفولتك .

يتضحكان بصوت عالى ، ينظر إلى ساعة الحائط

— آه يجب أن أعود للعمل لقد قاربت ساعة الـ **Lunch Time** إلى

الانتهاء.

طبع قبلة على شفيتها مضيقاً:

— أراك الأثنين القادم ، إلى اللقاء.

\*\*\*\*\*

فى هذا اليوم غادر نديم عمله مبكراً ، فضل أن يستقل مترو الأنفاق

من المحطة التالية ليسير بعض الوقت مستمتعاً بهذا الجو الصحو الذي لا يراه كثيراً في واشنطن دي سى ، فالطقس هنا مثير للعجب ، يتغير من خمس دقائق إلى أخرى ، من شمس مشرقة إلى رياح وغيوم ثم أمطار غزيرة . سار نديم فى طريقه المفضل الوارف الأشجار متمتعاً بألوانها فى هذه الفترة من السنة ، حيث تصل إلى أوج زهوها فى أواخر شهر مارس خاصة أشجار الكرز أو الساكورا بأزهارها البيضاء النقية الموشحة باللون الوردى ، ينظر إلى أعلى تبدو الأزهار كغيمة من السحاب النقى الذى يصهر القلوب .

الساكورا شجرة يابانية ، كانت مخصصة قديماً لزراعتها لدى النخبة الحاكمة فقط ، ثم سمحوا بزراعتها فى الحدائق العامة والمعابد ، تغلفت أشجار الساكورا فى وجدان الشعب اليابانى حتى أنها صارت رمزاً وطنياً للفعال الحسنة والمحبة والربيع ، فتقشوها على العملة الوطنية ، وترددت فى أغانيهم ، ورسمت على أوانى الطعام والمزهريات حتى لباس المرأة الوطنى ( الكيمونو ) ، ووشمها طيارو العمليات الانتحارية (الكاميكاز) على جوانب طائراتهم فى الحرب العالمية الثانية بل وحملوا معهم أغصانها لتبث فىهم الروح الوطنية .

انتقلت الساكورا إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٢ عندما أهدتها الحكومة اليابانية ثلاثة آلاف وعشرين شجرة بمناسبة نمو الصداقة بينهم ، وتم زرعها فى حديقة منهاتن بنيويورك وفى العاصمة واشنطن .

يمعن نديم النظر فى عاشقين يستندان على إحدى الأشجار ، يتبادلان القبل فى نهم ، كانت الفتاة شقراء تشبه جيسىكا ، تهف عليه ، يبتسم .

"كم هي جميلة وجذابة، إنها تلاثمنى تمامًا، فهي لا تريد أكثر من علاقة جنسية خالصة دون أى إضافات مثلما أريد، فأنا أؤمن بأن امرأة واحدة لا تكفى لرجل مثلى يحمل بين جنباته قلبًا وبين ساقيه آداه يمكنهما إرواء أكثر من امرأة فى آن واحد.

كلما أتذكر وقفتها على البار فى إحدى الحانات بفستانها التركواز المجسم على قوامها المبهر، اقتريت منها نظرنا لبعضنا فقط ثم تبادلنا القبل، اصطحبتها إلى منزلى ومارسنا الحب، كانت زوجتى والاولاد مدعويين إلى مزرعة والد صديقتها جومانه فى ويست فرجينيا، ومن يومها اتفقنا على اللقاء فى فيلتها أيام الإثنين من كل أسبوع".

السماء بدأت تمطر، أخذ يسرع الخطا هابطًا درجات محطة المترو مختفيًا داخلها، يقفز داخل إحدى العربات، يجلس على أقرب مقعد خالٍ، إيقاع دقات العجلات على القضبان منتظم لا ينتهى، طنين المحرك قوى على وتيرة واحدة لا يفتتر.

"يذكرنى هذا الصوت بإرادة علا وعزمها، عرفتها فى حفل عيد ميلاد جان فهى صديقة زوجته جومانه أحببتها من النظرة الأولى، عشقت فيها ابتسامتها المشرقة، روحها المرححة، سخريتها اللاذعة، جسدها الفاتر اليرى المشتاق لمن يروضه، أحسست بأن دمها يجرى فى عروقى، بأنها أم أولادى أزالته لى علا كافة الصعاب لأقترن بها، قبلت العيش فى إستوديو صغير هى من كانت تقيم فى منزل كبير بحى راق بفرجينيا مع أختها، تحملت معى شظف العيش حتى استقرت أقدامنا على أرض صلبة، فى بعض الأوقات ألوم نفسى لخياتتى لها مع أخريات، ولكنى فى مجتمع مفتوح لا يركن إلى الأحادية، وهذا يستهوينى فأنا أعتبر الأحادية محطة الملل بل اقتراب من الموت فأنا تلقائى أعشق الحركة والتنقل دون سكون كالفراشة فى تنقلها من

زهرة إلى أخرى، وهذا يبقيني مشتاقاً لعلا ولماذا فيها الخاص.

يقف المترو في محطته ، يسرع بالنزول ، يرتقى درجات المحطة يلمح حافلة **Bus Connector** تهم بالتحرك يعدو ليلحقها ، يصعد ، يجول ببصره على مقعد خال ، تثبت عيناه على الممثلة الهندية **Ais-warya Rai** .

إنها هي ، أكيد إنهم يصورون فيلمًا في الحافلة ، ولكن لا توجد كاميرات أيمن أن تكون شبيهة لها ، شعرها الأسود السائل على الأكتاف ، خصلة منه نافرة على الجبين تزيدها دلالة ، عيون واسعة ناعسة غارقة في غسلها البني ، بلوذة بيضاء اللون تحدد استدارات التهدين التفاحية يعلو قمتها حلمتان نافرتان تكادان أن تخترقا أنسجة القماش ، على ساقيهما وضعت حقيبتها وجاكت سماوي اللون وعقدت فوقهما كفيها ، أصابعها عاجية ملفوفة في تناغم يثير الحواس ويطلق العنان لتخيل باقى كنوزها ، تعمدت مواصلة الوقوف مستنداً على العامود المعدني ، لمواصلة تمتع بتلك الحورية ، أخذت أضمن هل هي هندية أم لاتينية أو ربما جنية.

لاحظت أن السائق ينظر لي متسائلاً لماذا الوقوف ، أنهيت تساءله :  
\_ إن قدميَ بهما خدر لذا أفضل الوقوف.

كنت أريد ألا تصل الحافلة لمحطة **Park and Ride** ، أشعر بأنني في الجنة وها هي أمامي إحدى الحور لمدة عشرين دقيقة مستمتاً بصحبتها ، قاربت الحافلة على الوصول لتنتهي هذا الحلم الرائع ، وقفت بقامة مشدودة ، بدا بنطال الجينز الأزرق ملتصقاً على فخذين دولفينين ، يستدير بفتنه عند المؤخرة ، اقتربت منى يفوح منها عطر **Basic Instinct** المثير للغرائز ، عندها أيقنت أنها ولدت من رحم أيقونة

## الجمال الصافي.

فجأة نظرت لى ، انبعث من فيها صوت فيولينا ساحرة:

— هل الحافلة تعمل فى العطلات الرسمية؟

تلعثمت ، جفت الكلمات فى حلقى ، فمازلت واقعاً تحت تأثير  
طلعتها المبهرة:

— يمكنك أن تسألنى السائق.

هكذا خرجت الكلمات من فمى باردة جافة غيبية ، توقفت  
الحافلة ، هبطت منها مسرعة ، شعرت بأننى أضعت فرصة التعرف  
عليها ، تخطانى عدة أشخاص فى النزول هبطت متلفتناً باحثاً عنها ،  
فأنا على الأقل مدين لها بالاعتذار .

"طوال قيادتى لسيارتى للمنزل وأنا أفكر فى ذلك الكائن  
الملائكى الذى لطشنى هواء ، حتى أوقفت السيارة أمام منزلى  
ترجلت منها ، لمحت علاقادمة من منزل جارنا سامى عنتر ، ابتسمت  
لملاقاتها .

عندما أرقبها قادمة ، أشعر بالأمان ، لحظة معانقتى لها تعاودنى  
روحى الضالة ، يسرلىنى الرضا بما أنجزت فى أرض الغربة ، أسير  
بجوارها لندخل منزلنا أشعر بأننى طفل تصطحبه أمه إلى مهده ."

تبادره قاتلة:

— هيلين هريت تاركة سامى وحده !!

— لماذا ؟ إن سامى يعشقها .

— تركت له بضعة كلمات مقتضبة تخيره فيها أنها رحلت للأبد .

— صوتك يفضح عدم حزنك عليه .

– لا تتسى أن سامى كان يغار عليها بطريقة جنونية ويضيق عليها الخناق، منعها من عملها منعها من الخروج إلا فى أضيق الحدود، كانت إقامتها جبرية.

– لا تتسى أيضًا أصوله النوبية وكيف هى عادات أهل الجنوب فى بلادنا ، ثم إنها ارتضت بهذا الوضع.

– ربما لفترة لتهدئة الأمور معه وليس لطول العمر.

– ربما ، لكن أخبرينى كيف حال سامى ؟

– إنه فى احتياج لك أنت وغان يجب أن تكونوا بجواره هذه الأيام.

– طبعًا ولكن ليس الآن ، اتركه يختل بنفسه لبعض الوقت .  
لكن متى هربت هيلين ؟ لقد رأيتها بالأمس عند رجوعى من العمل .

– فى جنح الليل ، فلون الغدر دأتمًا أسود يا عزيزى .

– إن سامى لا يستحق هذا الغدر.

– قمع الحرية يؤدى إلى الانتقام .

نظرت فى عينيه مباشرة مستكملة:

– الانتقام دائمًا هو مفتاح الخيانة عند المرأة، أما الرجل فمفتاح خيانتة الرغبة.

\*\*\*\*\*

فى عام ١٦١٩ نصب السير جورج باردلى حاكمًا لمستعمرة فرجينيا لتبدأ أول ممارسة للحكم الذاتى فى تاريخ العالم الجديد.

وحملت المستعمرة الجديدة اسم فرجينيا تيمناً بملكة بريطانيا إنيزابيث الأولى التى كانت تلقب بالعدراء **Virgin** كما يدعون.

وفى عام ١٧٨٨ كانت فرجينيا من أوائل الولايات التى انضمت إلى اتحاد الولايات الأمريكية ، كما تلقب بأم الرؤساء حيث هى مسقط رأس ثمانية ممن احتلوا سدة الحكم فى الولايات المتحدة ، وهى تماس من ناحية الشمال الشرقى بالعاصمة واشنطن وتتكون من عدة مقاطعات أشهرها عاصمتها ريتشموند ، فيرفاكس إرلينجتون ، لاودون وألكسندريا موطن جورج واشنطن أول رئيس للبلاد.

كما يوجد بفرجينيا مبنى وزارة الدفاع (البنتاجون) ، ويعيش بها حوالى ثمانية ملايين نسمة منهم خمسة وثلاثون ألف عريى.

تقيم علا وأسرتها فى حى سترلينج **Sterling** المشهور بوجود عدد كبير من الشركات التجارية الكبرى به ويعيش فيه أكثر من ثمانية وعشرين ألف نسمة الذى يقبع فى مقاطعة لاودون **Loudoun Cou-**try وهى أكبر وأغنى مقاطعة ليس فى فرجينيا فقط بل فى الولايات بأسرها.

تقف وسط مطبخها تعمل بهمة ، بقوامها الفاره المشوب بالسمنة إلا إنه لا يخلو من الفتنة والإثارة. قسماات وجهها الحنون وخصلات شعرها

المتروكة ببداية يرضيان عليها جاذبية من نوع خاص ورثت من أبيها طيبة القلب وثقتها بالناس ، بينما أخذت من أمها قوة الإرادة والتحمل .  
ينطلق رنين الهاتف:

\_ ألو .. أوه مسز سميث ستكون الفطائر جاهزة فى تمام الثانية عشرة ، نعم سأجلبها لك .

تفضل الخط على عجل ، تفتح باب الفرن تطمئن على حال الفطائر ،  
فهى منذ زواجها من نديم رفعت شعار

التوفير لتحقيق حياة أفضل لأسرتها ، ففى بدايات زواجها حرصت على الاشتراك فى برنامج (WIC Women, Infants and Children) وهو منظمة دولية تدعمها الحكومة الفيدرالية تقدم الرعاية الصحية والتغذية لذوى الدخل المنخفضة من النساء الحوامل والأطفال الرضع حتى سن خمس سنوات ، فتوفر لهم شيكات لشراء أغذية صحية تكميلية .

كما أنها تتردد بانتظام على محلات Good Will وهى هيئة لا تهدف للربحية ، تأخذ كل ما يتبرع به الأفراد من أشياء لا يحتاجون لها ، وتعيد بيعها بأسعار زهيدة فى فروعها المنتشرة بأنحاء الولايات من أجل استخدام العائد فى أعمال خيرية متنوعة والأفراد المتبرعون بهذه الأشياء يكسبون شيئين أولها التخلص من الأشياء التى تشكل لديهم كراكيب ، و الثانى استلامهم إيصالاً من هيئة النوايا الحسنة تخفض به ضرائبهم .

وبعد انتقالها إلى المنزل الجديد أخذت على عاتقها مساعدة نديم فى زيادة دخل الأسرة عن طريق طهو الحلويات والمأكولات بالطلب إلى المعارف والأصدقاء .

تفاجأ بانسداد حوض المطبخ ، تفتح ضلفة الدولاب أسفله ، تجثو على ركبتيها لفكه من أجل تسليكه فهي تعلم جيداً أن استخدام عامل سباكة سيؤدي إلى عجز في ميزانية المنزل ، تستلقى تحت الكوع ، تنجح في فكه يتدفع ما بداخله في وجهها ، يفور ما بداخلها من معاناه ، تفجّر باكية ، تجلس مستندة على دولاب الحوض .

"لقد سئمت الوضع أليس من حقى مثل كل النساء أن أجلس على أريكتى مسترخية أحسسى فنجان قهوتى وأنفث دخان سيجارتى باستمتاع . أرتدى مايوهى وأستلقى على ظهري ملتحفة أشعة الشمس الحنون على شواطئ فرجينيا بيتش . أن أتألق فى فستان سهرة عارى ليراقصنى نديم فى أحد الملاهى ، هل هناك عيب من أن أرتاد عروض الأزياء والمسرح".

تستكمل إصلاح الحوض ، تذهب للاستحمام ، عند عودتها ترى من النافذة رجل صديقتها جومانة من سيارتها .

"كم أحب طلتها ، بياضها الشاهق ، عينيها الخضراوين ، بحة صوتها ، قلبها المشتعل بالحنان ، أسلوبها الراقى فى الحديث ، قوامها الفرنسى ، فتاه بيروتية بحق ، تفتح لها الباب ، يتبادلان القبلات ، تبادرها علا :

\_ فى ميعادك ، دائماً منضبطة !!

\_ وأنت ألسنت جاهزة للذهاب؟

\_ لا .. سنذهب فوراً ، ولكن أستميحك عذراً بأن تأخذ سيارتى

لإعطاء تلك الفطائر إلى مسز سميث ثم نمرج على Macy's إن

لديه تخفيضات على ملابس الأطفال ثم نذهب إلي Save way

لإحضار ما تريدين من أطعمة .

— ولماذا لا نذهب بسيارتى؟

— لأننا بعد رحلة الشوبينج سنحضر الأطفال من المدرسة وسيارتى أوسع.

— آه دائماً تفكرين فى الموضوع من كافة جوانبه.

\*\*\*\*\*

يدلف نديم إلى مبنى عمله، يقترب من موظفى الأمن، يحييهم كعادته، يلمح وسطهم شاباً فى العشرينيات من عمره قوقازى الملامح، قوى البنية لم يره من قبل. مال الرجل على زميله، همس زميله فى أذنه، على أثرها اعتدل فى وقفته ثم أخذ يرمق نديم بنظرات عدائية غير مبررة، حاذاه نديم، تخطاه، وقف فجأة منادياً على أحدهم بإدركه مشيراً إلى الرجل:

— روبرت من هذا الشخص؟

— آه تقصد جون ويلكس.

— رأيت النظرة التى تكسو وجهه.

— لا تأخذ عليه مستر نديم أنه جديد وربما يكون متوترًا من أول يوم عمل له.

— ربما .. ولكن أخبره أن يستقبل الناس بابتسامة.

يصعد نديم إلى طابق عمله، يسير فى الممر الطويل محيياً من يلاقيه من زملائه، اقترب من مكتب زميلته اللدودة جانيت راى، تلك الأمريكية ذات الأصول الإفريقية، تمتلك جسداً يجعل أى رجل يحلم بأن يتذوقه والتمتع بمقاييسه البديعة إلا أن قسمات وجهها الغليظة تجعله يفكر ملياً قبل الاقتراب. تعزز جانيت بكونها أمريكية وتكره الأقليات على الرغم من كونها أقلية، كانت على علاقة حميمة بنديم

قطعتها بمجرد علمها بأنه مسلم أصبحت علاقتهما يشوبها العداة والسخرية من بعضهما البعض.

حاذى باب مكتبها ، لمحها مفتوحًا ، بنظرة موازية وجددها تقف منحنية تلتقط شيئًا من الأرض ، مؤخرتها تنصدر المشهد ، توقف متأملًا أبعادها التي يعرفها جيدًا ، طالقًا العنان لذكرياته عن ليالي الحب الدافئة معها.

تشعر بحركة خلفها ، تعادل ملتقمة ، تفاجأ به واقفًا مثبتًا نظراته عليها :

\_ ما هذه الوقاحة؟

\_ وقاحة؟؟؟؟ .. أنسيت؟؟؟؟ .. أنت كنت تتمنين منى نظرة .

\_ متى .. فى العلم؟

\_ أنت وجنسك كالتقطط تأكلن وتنكرن.

\_ وماذا أكلت؟ هل ما تمتلكه بين ساقيك يشبع أنثى مثلى؟

\_ لا تبدئين .. قلدى تسجيل كامل لتأوهاتك.

\_ عندها اندفعت تجاهه غاضبة وهى تصيح فيه :

\_ أغرب عنى يا حقير.

يقهقه نديم لئجاحه فى إغضابها ، يسرع الخطو إلى مكتبه يضئىء الأنوار ، تظهر محتوياته وكأنها متحف مصغر يعرض لتاريخ مصر الطويل ، يعلو مكتبه تقليد للوحة المولد لمحمود سعيد يجلس وراء مكتبه الذى يوضع على أطرافه تمثالان لتوت عنخ آمون وآخر لنفرتيتى ، على جدران الحجرة الجانبية علقت صورة لمحمد على باشا باني مصر الحديثة وعلى الجانب الآخر صورة للإمام محمد عبده مصلح

الدنيا والدين في عصره وأمامه على الجانب الأيمن من باب المكتب  
علق تمثال لإله التناسل لدى قدماء المصريين بعضوه الذكرى الضخم  
يستخدمه في تعليق مفاتيحه وعلى الجانب الآخر من الباب زين الجدار  
ببردية بها نصائح للحكيم أنى لتلميذه خونسوحتب.

في ركن الحجرة بجانب مكتبه وضعت منضدة وكرسيان من  
شغل الأرابيسك، على المنضدة أباجورة على هيئة وجه كليوباترا من  
الخشب يعلوها شابو بيع اللون موشه بالحروف الهيروغليفية، اكتست  
الأرضية بسجادة يدوية من أعمال أهل سيوه، المكتب مزار لكل من  
يعمل بالمجلة يتنسم فيه عبق التاريخ والأصالة.

استطاع نديم أن يؤثته من الأشياء الزائدة عن الحاجة في منزله  
حيث أخذت علا من أختها عند سفرها إلى الخليج الكثير من الأثاث  
والتحف فأختها لديها ولع شديد بجمع الأنتيك المصرى القديم.

جلس نديم وراء مكتبه، منكبًا على إعداد أوراقه استعدادًا  
لاجتماع التحرير بعد قليل، يسرح بخياله في أيقونة الجمال التي وضعها  
النقد أمامه في Bus Connector .

فاليوم خفق قلبي بشدة عندما أعماني بريق شمسها وهي تستعلى  
سدة المقعد الأول بالحافلة، سعادتي كانت غامرة عندما لاحظت  
أن المقعد الذي بجوارها شاغرًا، نظرت لها في جراءة ثم حولت نظري  
إلى جوارها مبتسمًا، تحركت بجسدها المثير سامحة لي بالجلوس،  
أخيرًا بعد أيام من الترقب وتبادل النظرات سنحت لي الفرصة للاستمتاع  
بمجاورتها وتقديم اعتذاري لها، شعرت بالسخونة المنبعثة من جسدها  
الملتهب، حبيبتها بإيماءة من رأسى بدأت بالتلصص بنظرات مواربة على  
شعرها المنسدل بلا عوائق، شفيتها المرسومتين عيونها الغزلانية،

عندها أيقنت أنها أجمل من إيشواري راى .

بصوت يشويه كثير من الأدب خاطبتها :

\_ اسمحى لى أن أقدم اعتذارى عن إجابتى الجافة عندما سألتينى

أن الحافلة تعمل فى العطلات .

\_ لا عليك لقد أحببتى بعمل الصواب.

\_ اعدزىنى فأنا عندما رأيتك تصورت أنك إيشواري راى الممثلة

الهندية؟

نظرت لى بعيونها الناعسة قائلة:

\_ لماذا يصر كل من يقابلنى أننى أشبهها ألا يروا الفروق الواضحة

بيننا؟

\_ فعلاً .. أنت أجمل منها .

ضحكت عالياً ليظهر صف أسنانها المتألئى ، عندها مددت لها

يدى:

\_ نديم الشاعر صحفى فى مجلة Art .

"عند وضعها كفها فى راحتى ، كأنها صعقتنى بآلاف الفولتات

الكيوبيدية التى أحالت جسدى إلى سفنجة متعطشة تشربتها فى نشوة غامرة.

رن هاتفها المحمول ، سحبت كفها من حضن كفى ، التقطت

هاتفها من حقيبة يدها ، تكلمت بلغة أشبه بالعربية نفس الحروف

والنغم لكنها ليست نفس اللغة ، أنهت المكالمة ، نظرت لى:

أسفة جداً .. أنا ميتاب شيرازى أعمل مفتشة مالية بوزارة العدل.

"فعلاً فأنت تشبهين القطط الشيرازى فى جمالها الساحر ، نعمتها ،

رقتها، أظفارها المتناسقة، جسدها الإنسيابي”

تمالكت نفسي قائلاً:

— نحن نعمل في نفس الشارع .. أنت تبعدين عني عدة ميانٍ فقط.

توقفت برهة عن الكلام ثم استرسلت:

— إذن أنت تكلمت باللغة الفارسية.

— كيف عرفت؟

— إن لقبك شيرازى وشيراز مدينة مشهورة بإيران ثم إن لغتك بنفس

حروف لغتي العربية.

— نعم أنت صائب .. وأنت عربى .

— نعم مصرى.

— أوه بلد الأهرامات وأبو الهول .

— هل زرت مصر من قبل؟

— لا للأسف ولكنى قرأت عنها كثيراً.

”خففت الحافلة من سرعتها، نظرت من النافذة، للأسف وصلنا،

إن المسافة كل يوم تمر طويلة مملة، أما اليوم مرت كومضة عين.

همت بالوقوف، سارعت بالتحرك مفسحاً لها المكان، وقفت

بقوامها الفاتن، أشرت لها بأن تتقدمنى مستمتعاً باستدارة مؤخرتها

المتناسقة، متمنياً تذوقها، نزلنا من الحافلة.”

— هل ستستقلين المترو معى؟

— لا أنا لن أذهب لمبنى عملى بل لدى عمل فى أحد فروعنا لذا

سأستقل سيارة أجرة لهنالك، فرصة سعيدة سيد نديم .

”وقبل أن أسترد وعيى من خدر جمالها الطاغى ابتعد طيفها عن

عَيْنِي لَيْسْتَعْمَرُ عَقْلِي وَوَجْدَانِي

أخرجني رنين هاتفي من تخيلاتِي:

— آلو .. خوسيه .. نعم سأحضر حالاً إلى الاجتماع .

أدار نديم مقبض باب مكتب خوسيه ، وجددهم ملتزمين حول منضدة الاجتماعات يتناقشون ، كان صوت خوسيه هادئاً كالعادة يوجه كلامه إلى جانبتي:

— على مر العصور حرق الكتب هو سمة الخائفين ، فبدلاً من محاربة الفكر بالفكر يلجأون دائماً إلى الطريق السهل وهو القمع ، وأقدم من قام بحرق الكتب الإمبراطور الصيني شي هونج عام ٢١٢ ق .م ليمحو تاريخ الأسر السابقة لعهد . ثم تكررت هذه الجريمة عبر التاريخ وقرأنا عما فعله الرومان بمكتبة الإسكندرية وهولاكو لكتب بيت الحكمة ببغداد حيث حرق أكثر من ثلاثة ملايين كتاب حتى هتلر تحت شعار ضد الروح غير الألمانية قام بحرق آلاف الكتب لكارل ماركس وفرويد وتوماس مان وغيرهم .

هنا تدخلت جانبتي:

— لقد فهمتني خطأ .. أنا لا أدافع عن هذا النفس المخبول بل على العكس إنني ضد هذا التعصب .

يتدخل نديم:

— كيف؟ وبماذا تفسرين كرهك لي ولبنى عقيدتي؟

— أنا لا أكرهكم ولكنكم مدانون في نظري منذ ما فعلتموه في الحادي عشر من سبتمبر .

أنت تضعين بأفكك الضيق المسلمين كلهم في سلة واحدة فتظلمين

مليار مسلم بجرم حفنة متطرفين مع افتراض أنهم وراء التخطيط والتنفيذ لهذه الكارثة التي يكتنفها الكثير من الغموض، أريد أن أسألك سؤالاً، هل ديننا هو الدين الوحيد الذي به متشددون؟ بالطبع لا، فكل الأديان بها هذه العقول المهووسة وأكبر دليل على كلامي وجود هذا التيرى جونز الذي لم يقرأ القرآن ولا يعرف محتواه ويريد إحراقه.

ترد عليه بجدته:

— أنا لست متشددة بل فى منتهى الحيادية، هل تظن أنني لا أبحث وأنقب فى جريمة الحادى عشر من سبتمبر لأصل إلى نتيجة نهائية، لكنى وحتى أصل إلى هذه النتيجة أنتم فى نظرى مدانون.

يتدخل خوسيه رافعاً كلتا ذراعيه لأعلى وبصوته الهادىء المغلف بالحزم

— كفى أرجوكم .. لدينا عمل يجب أن ننتهيه.

هدأت الأصوات، جال ببصره فى وجوههم مسترسلاً:

أولاً أحب أن أهنئكم على العدد السابق فلقد فاق صداه المتوقع وخاصة من النخبة، تعلمون أن هذا الاجتماع خاص بالعدد التذكارى الذى ستصدره احتفالاً بمناسبة اليوبيل الخشبى على إنشاء مجلتنا أعلم أن الوقت مبكر لذلك ولكن الإدارة تريد عدداً لا ينسى، لذا قررت أن أوزع عليكم مهامكم لهذا العدد قبلها بوقت كاف حتى يكون لديكم فسحة من الوقت ليدل أفضل ما لديكم.

بدأ يوزع المهام على المحررين، التفت إلى نديم قائلاً:

— أنت مكلف بعمل موضوع عن الكابيتول وإظهار ما به من فنون معمارية.

التفت إلى جانيت:

— وأنت ستُعدّين موضوعًا عن الشاعر خليل جبران .

هنا صاح نديم محتجًا :

— من فضلك خوسيه .. كيف تعطى هذا الموضوع إلى جانيت  
أرأيت رأيها في بنى جنسى إنها لن تكون محايدة ، ثم أنت تعلم  
أنه شاعري المفضل .

اعترضت جانيت عليه مقاطعة :

— جبران شاعر أمريكي ألم تذهب إلى بوسطن وترى نصيبه  
التذكاري في كوبري سكوير أحد أهم ميادين المدينة و  
حديقته هنا في جادة ماساشوستس .

— جبران لبناني المولد والمنشأ ، عربي الثقافة وأنا أولى بالكتابة  
عنه ، ثم يكفي خوسيه أنك أعطيتها موضوع الصحافة العربية ،  
في أمريكا وأنا أحق به .

يتدخل خوسيه ثانيةً بصوت حازم :

— نديم لاتنس أنى هنا رئيس التحرير ، وأنا من أوزع الموضوعات ،  
ثم إنني قلت لها أن تشاركك الرأي في موضوع الصحافة العربية ،  
ومع هذا أنا لأمانع من أن تتبدلا الموضوعات هذه المره .

قالت جانيت بصوت هادئ :

— أنا لأمانع لدى ، فقط ليعرف أنني لست متعصبة .

فقال خوسيه :

— إذن أرجوكم لناقش بعد الآن ، وتفضلوا إلى أعمالكم .

\*\*\*\*\*

في فترة الـ Lunch Time عرج نديم على كافييه PotBlley المعتاد

ارتياحه في هذا الوقت لتناول شطيرتيه مع كوب من العصير، دفع الباب بيده، دخل، جلس على مائدته المفضلة، سطلعت هالة نور من بقعة قصية من الكافيه، جعلت قلبه يطرب، قام مسحوراً، اقترب منها .

"جذابة في ثوبها الروز، أناملها الناعمة المكسو قممها بلون ثوبها المبهج تتحرك على الـ Laptop بخفة كأنهن راقصات باليه، آه عندما أراها، يتأهب جسدي، يرتعش رغبة. أفتريت منها بخفة، انحنيت عليها بهدوء وبصوت خافت:"

\_ لماذا تجلس حفيذة عمر الخيام في هذا الركن الخفى؟

\_ أوه سيد نديم، كيف حالك؟

\_ أنا بخير، هل من الممكن الجلوس معك؟

تلقت حولها في وجل ثم قالت بصوت متردد:

\_ تفضل .

\_ لم تجاوبيني، لماذا تجلسين في آخر الكافيه .

\_ بعيداً عن الضوضاء وأعين الناس .

فضلت أن أجاورها لأتخصص على ما تظهره فتحة الثوب التي قاربت مفرق النهدي، لمحت صورة رجل تفتريش Desk Top، ذو رأس كبير، قسومات وجه صارمة، لاحظت فضولي، أخبرتني أنه زوجها نجاد مهندس برمجيات بأحد المراكز التابعة FBI، وأن لديها منه طفلين، كان في صوتها رنة حزن برغم وجهها الياسم، قاومت فضولي بعدم السؤال، تشبثت بنظري على نظراته الميتة، وتساءلت هل يقدر ذلك الصنم بأنه متزوج من عشتار؟ هل يشكر الله ليل نهار عندما يتلفت ويجد القمر مستلقياً بجانبه؟ هل يخسر ساجداً لله عندما يمتطي صهوة هذه المهرة الفارسية؟

فاجأتى بسؤالها :

\_ هل أنت متزوج؟

\_ نعم ولدى ولد و بنت .

\_ ما اسم زوجتك؟

\_ تدعى علا بمعنى المكانه العاليه الساميه .

\_ اسم جميل.

\_ وما هو معنى اسم ميتاب؟.

\_ باللغة الفارسيه يعنى القمر.

\_ لقد ظلموك .. فالقمر قطعة أرض معتمه تستمد ضوءها من

انعكاس أشعة الشمس عليها أما أنت فنجم يضىء .

تفجر بسمتها ليزداد وجهها اشراقاً ، نظرت فى ساعه يدها قائلة:

\_ يجب أن أعود لعملى .

قبل أن نغادر تبادلنا **E\_mail Add**. وافترقتا على وعد اللقاء.

\*\*\*\*\*

ينتظر نديم فى سيارته جاره سامى عنتر للذهاب إلى عزومه

صديقهم جان فى **Hookah Bar** وهو مطعم وكافيه به بار غربى وصالة

لتدخين الشيشه ، ومشهور عنه أنه ملتقى لإقامة العلاقات العابرة ، فإذا

استلطفتك إحداهن فلا مانع من مغادرة المكان معك أو تبادل أرقام

التليفون على وعد اللقاء .

اقرب سامى بقوامه الفارع وسمرته النوبية ، ركب السيارة بجوار

نديم ، برغم حزنه إلا أن الابتسامه لا تفارق وجهه ، صاح فيه نديم

بصوت مرح:

\_ كيف حالك يا أبو السام؟

\_ لا بأس .

\_ ها قد بدأت ترجع إلى طبيعتك .

\_ تعرف نديم .. إن ما يحزننى أننى لم أهجرها أنا منذ زمن ، فلم يكن يروفتى رائحة عرقها ولا طهيها كما أنها لم تأتني بطفل ، لكنى ربما اعتدت هذا كله ولم استطع فراقها حتى هجرتنى هى .

\_ أشعر فى نيرة صوتك بحسرة .. أنت تحبها سامى .

\_ تلك هى المشكلة .. هل برأيك يمكن أن تعود ؟

\_ لا أريدك سامى تبدو كمن ينتظر جودو الذى لا يأتى أبداً ، لكنى أعدك بأنك سوف تتساها .

" أم يا سامى كم أنت إنسان طيب شفاف نقى فبرغم خيانة زوجتك فمازلت تحبها وتنتظر عودتها ، ربما التعامل الطويل مع الزهور كمنسق وبائع لها ، جعلك تتسم بما تضيفه الزهور على النفس من رقة وتسامح ونقاء ."

أوقف نديم سيارته ، ترجلا منها . بدا Hookah Bar كلؤلؤة تضوى فى ليل فرجينيا الساهر ، دلفا من باب المطعم ، لمح نديم جان يجلس كعادته على المائدة التى تتصدر قاعة تدخين الشيشة بجسده الضخم ووجهه الأبيض المشوب بالحمرة وشعره الفاحم المصنف بتأق ، ينفث دخان شيشته وينظر لسقف الصالة بنظرات شاردة .

" لم يتغير جان منذ أول مرة قابلته فيها من خمس سنوات عندما جاء للمطعم الذى كنت أعمل به للاتفاق مع صاحبه لإجراء إصلاحات فيه ، فجاء يعمل مقاول ترميمات وديكورات ، تعارفنا وعندما لامسنا

روافد اهتماماتنا المشتركة بالقراءة والسينما والموسيقى وغيرها تصادفتنا، أصبحنا كتابًا مفتوحًا نقرأه سويًا لا نستطيع الافتراق عن بعضنا كثيرًا.

– أخيرًا أتيتم .

بادرنا قائلاً في ترحاب، قام محتضناً سامي مرحباً به، جلسنا ندخن الشيشة ونحتسى زجاجات البيرة المثلجة أخذ جان يواسى سامي بلهجته اللبنانية المحببة للأذن، معدداً فضائح النساء وقدرتهن على الخيانة بدم بارد يحسدن عليه ثم أضاف قائلاً:

– لا تحزن يا سامي فالنساء كتكعبية العنب تعشش العصافير  
والثعابين أيضاً !!

لكن أنت أيضاً ملام يا سامي فكلنا نعلم أنك قد ضيقت عليها  
الخناق خاصة في الآونة الأخيرة .

قاطعته سامي بصوت ضعيف:

– من حبي لها جان

– سامي لقد قرأت مرة بأنك إذا أردت شيئاً بقوة فأطلق سراحه،  
اترك للعصفور باب القفص مفتوحاً على مصراعيه فإذا بقي ولم  
يفادر فهو دائماً كان لك وإن طار مغادراً فهو لم يكن لك من  
البداية فلا تحزن عليه. لكن في حالتك يا سامي أنت فتحت  
القفص للعصفور ليس ليخرج بل لتدخل أنت وتغلقه .

أعجبنى جداً وصف جان الأخير وتذكرت علا وأسألها الدائمة لى  
بعيون قلقة يملؤها الشك .

اختتم جان كلامه وهو ينظر فى عيني سامي:

– لكن للأسف سامي البعض يحب برغم الخيانة .

ثم نظر في عينيّ تذكّرت فيها نظرة علا التي تعرّيني وتحسّسني  
بأنها تعرف كل شيء عنيّ."

و استرسل جان:

– وهناك من يخون برغم الحب.

لاحظنا أن سامي شرّد بنظراته ناحية البار حيث الشقراء المتراقصة،  
كانت هي أيضًا تنظر تجاهه، أخرج جان من جيبه مفتاحًا ناوله  
لسامي.

– غرفة عشرين في موتيل **Sweet Night** في آخر الشارع .

تجولت نظرات سامي بين الشقراء ويد جان الممدودة له، صاح فيه:

– هيا لا تتردد .. اذهب وادفن همومك، لا ينسى المرأة إلا المرأة.

تناول سامي المفتاح من يده ووقف ذاهبًا تجاه الشقراء، نظرت إلى  
جان متسائلًا:

– ومن أدراك أنها ستوافق .

– إنها نيكيتا فتاة الليل الأوكرانية أنسيتها .

قالها وضحك بصوت عال، رن جهاز الـ **BlackBerry** الخاص بي  
معلنًا عن قدوم رسالة فتحتها، رفرف قلبي فرحًا عندما رأيت الحروف  
المكونة لأسمها ميثاب .. كانت رسالة مقتضية "هل لديكم فرصة  
عمل لخريجة فن تشكيلي بمجلتكم".

أخذت أرد عليها خاطئًا عدة كلمات بأنني سأنتظرها غدًا في ميعاد  
الـ **Lunch Time** في نفس الكافيه الذي تقابلنا فيه ضغطت على **Send**  
وأنا أتمنى تذوق ذلك الجمال الفارسي قريبًا

\*\*\*\*\*

ساحة الحرية **Freedom Plaza** التي تقع في ١٣٢١ بجادة بنسلفانيا شمال شرق العاصمة هي ، خريطة عملاقة على مسطح حجري يصور شوارع واشنطن دي سي ، ومعلم سياحي مشهور يطيب للسياح التجوال عليه ، وسميت بساحة الحرية نسبة إلى مارتن لوثر كينج (راعى الكنيسة الذى نذر نفسه للتبديد بالفصل العنصرى وأصبح زعيماً لحركة الحقوق المدنية بالبلاد واقتيل فى عام ١٩٦٨ وأصبح رمزاً للحرية فى البلاد) حيث كتب مسودة خطبته الشهيرة "لدى حلم" بأحد الفنادق الصغيرة القريبة من ساحة الحرية وألقاها عند نصب إبراهيم لينكولن عام ١٩٦٢ فى أكثر من مائتين وخمسين ألف مناصر والتي عبر فيها عن رغبته فى أن يتعايش السود والبيض بحرية ومساواة وتجانس واعتبرت هذه الخطبة من أكثر الخطب بلاغة وتم اختيارها أهم الخطب فى القرن العشرين.

فى منتصف ساحة الحرية يوجد أكبر ميدالية برونزية فى العالم وشم عليها الختم الأعظم الماسونى الذى أخذته الولايات المتحدة رمزاً لها وطبعته على عملتها ، بل إن العاصمة بأسرها قد شيدت على أسس وطقوس ماسونية قام بها جورج واشنطن وبنيامين فرانكلين وآخرون ممن كانوا يعتبرون معلمين ماسونيين.

ترجل نديم من السيارة الأجرة، تلفت حوله باحثاً عن جيسيكاء ، رأى فريق عمل المتحف يحيط بالميدالية البرونزية يفحصونها. اقترب

منهم ، هم بأن يسأل أحدهم عنها . رن جهازه المحمول معلنًا عن قدوم رسالة كانت من جيسكا .

"عذراً ، اضطررت للعودة مبكراً للمنزل ، أنا فى انتظارك".

عندما دخلت الفيلا ، استدعانى صوتها ، كانت فى حجرة المعيشة تشاهد التلفاز بادرتهى :

\_ جاءنى تليفون من صديقتى سارة شميت بأن فيلمها "اليهود عبر الزمان" سيعرض الآن فاضطررت للرجوع .

أشارت لى بالجلوس ، أخذنا تشاهد الفيلم فى اهتمام حتى ظهرت كلمة النهاية . نظرت لها بعيون تفيض بالتساؤلات ، ضحكت قائلة :

\_ ما رأيك ؟

\_ أعرف أنك صديقة لكاتبة الفيلم لذا أريد أن تتلقى لها رأى بأمانة.

\_ هات ما لديك .

نظرت فى عينيها الزرقاوين ، قائلاً: إنها عددت من مداو يد العون لليهود عبر الزمان وأغفلت العرب تماما مع أنهم أول من أنصفوا اليهود ، بدءا من العهد النبوى مروراً بمعظم ملوك المسلمين على مر التاريخ ، فهم أول من استعملوا اليهود ، فمن ينسى يعقوب بن كلس وزير الخليفة المعز لدين الله الفاطمى وطبيب صلاح الدين الأيوبي موسى بن ميمون ووزيرى مالية مصر والعراق فى العشرينيات يوسف باشا قطاوى وحزقىل ساسون حتى فى عصرنا الحديث فالمرستشار المالى لملك المغرب محمد السادس هو اليهودى أندرية أزولاي ، ثم إن حاخام مذهبك أنت موشيه هيرش حتى مماته كان يشغل منصب وزير الشؤون اليهودية فى حكومة السلطة الفلسطينية . وهاهم اليوم اليهود يردون للعرب الجميل بحذف دورهم من التاريخ ، واضطهادهم والتكيل بهم فى فلسطين .

قاطعتنى بحزم:

أرجوك لا تضع اليهود كلهم فى سلة واحدة، أنت تعرف موقفى أنا  
ومذهبى من القضية الفلسطينية.

ابتسمت فى وجهها:

– نعم أنا أعلم

”جيسىكا تتبع المذهب اليهودى حراس المدينة أو الناورى كارتا  
باللغة الآرامية وهو يرفض الصهيونية بكافة أشكالها ويعارض  
وجود دولة لإسرائيل وينظمون مسيرات تتزامن مع احتفالات ذكرى  
قيام الدولة اليهودية، فيحرقون فيه العلم الاسرائيلى ويرفعون لافتات  
تدند بسياسات الظلم التى تنتهجها الصهيونية فى حق الفلسطينيين.  
وهم يرفضون دفع الضرائب للدولة ولا يتعاملون بعملتها ولا يقتربون  
من حائط المبكى حيث يعتقدون بأن الصهاينة قد دنسوه بمصالحهم  
الدنيوية، والمذهب ينتشر فى القدس وعدة دول فى العالم”

نظرت لى بعيون موحية قاتلة:

– من الواضح أنك اليوم تعب، فخصصته للتظير.

قالتها واقتربت منى، جلست بجوارى على الأريكة، التصقنا،  
همست فى أذنيها بما يدغدغ مشاعرهما أطلقت ضحكة داعرة، أخذنا  
نتعرى على أثرها.

\*\*\*\*\*

صالة جازوزا (Gazuza Lounge) الكائنة فى ١٦٢٩ . Connect-  
cut Ave من أشهر الملاهى فى العاصمة يفتح أبوابه يومياً فى التاسعة  
مساءً، ويحتوى على مطعم راق وبار ومساحة مستطيلة للرقص على  
أنغام DJ ويقدم الشيشة على هيئة زجاجات صغيرة مزخرفة بألوان

زاهية توضع على الموائد المصنوعة من الخشب الماهوجنى ومقاعد على هيئة مصاطب مكسوة بالجلد الأحمر . دلف نديم إلى الصلاة أخذ يبحث عن جان فى سعادة بادية عليه .

أخيراً سوف ننعّم بليلة ماجنة فزوجتى والأولاد سيقضون عطلة نهاية الاسبوع بصحبة جومانة فى عزبة والدها . ها هو جان كعادته يدخن الشيشة ، تخرج حلقات الدخان من فمه مشكلة لوحة تشكيلية ، يرانى يبتسم ويشير لى بالجلوس قائلاً :

\_ أ رأيت خطاب معمر القذافى فى الأمم المتحدة؟

\_ لا

\_ فاتك الكثير ، لقد جن الرجل ، أخذ يمزق ميثاق الأمم المتحدة ورقة ورقة وهو يسخر منه ، أنا لا أعلم كيف من هو على شاكلته يحكم طوال هذه السنين ، أين شعبه ؟

\_ وهل شعبه فقط ، فكافة شعوب المنطقة لا تستطيع أن تفتح أبوابها إلا عند أطباء الأسنان فقط .

أخذ جان نفساً عميقاً من شيشته وكست وجهه نظرات حزينة أعرفها جيداً ، فودعت لحظتها الليلة الماجنة نظر لى فى اهتمام قائلاً :

\_ ان بلداننا تمتلك دساتير عقيمة ، لا تساعد على النمو والارتقاء إلى مصاف الدول المتقدمة التى تعترف بحقوق الإنسان وتحقيق العدل والمساواة للأسف حكامنا لا يؤمنون بالتغيير سوى فى شيئين النساء والأزياء فلا أمل فى الإصلاح إلا بالقوة .

\_ يا عزيزى جان إن حكامنا لا يعترفون بأن التغيير سنة الحياة لأنهم يعتبرون أنفسهم فرضاً وليسوا سنة . ها ها ها .

يهل علينا رجل طويل القامة أشقر الشعر ، يستقبله جان بترحاب ،

يقدمه لى بأنه زميل فى حفل العمل يجلس بجواره ويتبادلان الحديث.  
تشغلنى الأبدان المتميلة على أنغام DJ ، شيئاً ، فشيئاً ، يسكن  
النغم ، تهدأ الأقدام عن الرقص ، ثوان قليلة ثم يعلو النغم مرة أخرى  
ليزدحم المرقص وتمايل الأجساد من جديد . تجذب عيني هالة من  
نور يشع من ركن قصى ، تتسع حدقتى ، عندما أتبين الملامح الطلة  
من فستان السهرة ، أخذ قلبى يرفرف كحمامة هائلة قمت منجذباً  
للضياء ، كانت بصحبة سيدة أخرى. صديقتى كاتى ، هكذا عرفتنى  
بها أعلنت الموسيقى عن رقصة تانجو ، طلبت منها مراقصتى ، ترددت ،  
شجعتها كاتى ، قامت معى ، هههف الثوب الشفيف ليعلن عن القوام  
السمهرى الذى يتراقص بداخله ، وصلنا للمرقص ، بادرت بالاقتراب  
متخذاً وضع الرقصة أمسكت إحدى يديها ، أشعلتنى ملمسها الناعم ،  
أحطت خصرها الناحل بيدي الأخرى لاصقاً كفى على ظهرها كان  
جسدها يرتجف ، بدأت حديثى:

\_ انتظرتك طويلاً بالكافيه ساعة الغداء ولم تأتى.

\_ كان لى اجتماع مفاجئ فى العمل ، ولقد أرسلت لك رسالة  
اعتذار.

\_ لم تصلنى ، ربما كان جهازى فى حاجة إلى شحن . كنت أريد أن  
أعتذر لك ، لأن المجلة لا تطلب الأن محررين جدد.

\_ لا تعتذر إنه كان مجرد سؤال ، فابنة عمى تخرجت هذا العام  
وكنت أحاول أن أجد لها عملاً .

أخبرتتى بأن زوجها سافر إلى نيويورك للعمل ، أصرت صديقتها بأن  
يأتيا بعض الوقت لتدخين الشيشة استفسرت منها عن سبب اختفائها  
من Bus Connector ، أجابت بأنها كانت تقيم بصفة مؤقتة فى منزل

عائلة زوجها لإجراء إصلاحات في منزلها ثم رجعت مرة أخرى إليه، لذا فهي تستقل المترو الآن نظرت في عيني قائلة:

— على فكرة أنا أمر مرتين في اليوم من أمام مبنى عمك لوجود محطة المترو بجواره .

كان قوامها الفاتن يتمايل مع النغمات في نيوثة غصن زهر رقيق، اقتربت حتى لفحتني أنفاسها الساخنة أخذت أرنو رويداً رويداً إلى خدرها السوسنى، أذوب في جسدها البيض اللين، يفرقتى رحيقها الأنثوى أفيق على ذعرها، ماذا تفعل؟ .. ماذا تفعل؟ كنت أعتصرها بين ذراعى، أخليت سبيلها متأسفاً، تركتني ورجعت مسرعة إلى صديقتها، لحقت بها، كائنا يتأهبان للمغادرة، أعتذرت عما بدر منى مرة أخرى، هزت رأسها دون النظر إلى، غادرتا مسرعتين.

طوال قيادتى لسيارتى فى طريق العودة لمنزلى وأنا أفكر عما اقترفته تجاه ميتاب، لقد تسرعت، لم يكن تصرفاً ذكياً، أعلم أننى أريدها بشدة، لكن ليس بهذه الطريقة ولا بهذه السرعة، أين فطنتى ودهائى معهن لكنى معذور، بين يدي ملاك يراقصنى، ألتصق به، أشعر بأنفاسه تحرقنى شوقاً، صوته الناعم يدغدغ مشاعرى، جسده الملبنى يثير غرائزى، من يقاوم كل هذا الإغراء.

بدأت الأمطار تهطل بغزارة، ركنت سيارتى على جانب الطريق أخرجت الـ **Blackberry** وأخذت أخط لها رسالة .

”هل تعرفين حكاية ذكر النحل الذى يعيش حياته على أمل لقاء الملكة لمرة واحدة، ثم بعدها يسلم الروح هكذا كان شعورى عندما رأيتك، لم أصدق أننى أحتضن الملكة وأراقصها، انتابتنى نوبة من النشوة العارمة أحسست أننى أذوب أتلاشى، أنا واثق بأنك

ستفهمين وتقدرين، لذا سأترقب قدومك غدًا في الـ Lunch Time في نفس المكان."

\*\*\*\*\*

جلست ميتاب على حافة فراشها، منهمكة في قراءة إيميل نديم، نَحَّت الـ Laptop جانبًا، نظرت في رسوم السجادة الشيرازي الصغيرة المتعلقة أمامها وسرحت بعيدًا في أشجار الصنوبر والطيور ذات الأجنحة انغريقية بألوانها الهادئة من الروز وزهر السفرجل .

"ماذا تريد مني أيها المصري، أعترف بأنك تعجبني بقوامك الرياضى وقسمات وجهك الفرعونية خاصة شفطيك الغليظتين، صوتك الرخيم الهادىء، كلماتك المعسولة، بؤيؤ عينيك، لكنى لا أريد حبيبًا بل أريد صديقًا ليكون مرآة لزوجى لأتبين من خلاله كيف يفكر، كيف يشك، كيف يحب، أريد أن أجمل حياتنا الزوجية، أعيد صياغتها بما يحب ويهوى من أجل المحافظة على عائلتى ."

أتفاجأ بسمته يسد باب الحجرة، ينظر لى بعيون مرتابة، يصيح فى بصوت ممطوط أجش:

— تفاجأت بى، كنت تتوقعين أنى سأبيت بنيويورك.

أرد بصوت مرتعش:

— لأنك أخبرتنى بذلك .

— ولمماذا تمكثين من الآن فى حجرة النوم، أه، تتهيتين لعشيقك يا عاهرة.

أرد عليه بصوت مرتعش:

— ماذا تقول؟ أنت مخمور كالعادة.

يندفع نحوى بخطوات غير متوازنة ، يمسكنى من كلتا ذراعى ،  
يدفعنى إلى السرير ، يخلع ملبسه بهمجية

— لن أتركك تهنئين مع آخر يا داعرة ، أنت لى ، أنت ملكى .

يجثم بجسده فوقى ويباشرنى بمنتهى العنف .

”ممارسة الجنس معه منزوعة المتعة ، مجرد احتكاك أبدان يشبه  
احتكاك حجرين لإشعال نار الرغبة بلا مشاعر أو أحاسيس ، فى مرات  
كثيرة يقع على بوحشية وهو مخمور تمامًا ولا يعرف مع من يمارس ،  
ودائمًا يشبع رغبته ، ويتركنى متأججة ، ودائمًا أتركه وأدخل الحمام  
حيث أنعم بلذة المياه القوية الدافئة تتدفق عبر مواضعى الحساسة .“

\*\*\*\*\*

الصباح ينير السماء رغم الغيوم العابرة ، خضرة الأشجار تزهو  
وتنجلي من أثر الأمطار المنهمرة منذ الأمس ، هذا الطقس لم يمنع  
علا وجومانة اللتين أعتادت على الذهاب إلى مركز السباحة القريب  
من منزل علا مرة كل أسبوع لممارسة الساونا والجاكوزى والسباحة  
لإزالة التوتر ومعاناة الأعباء المنزلية .

ترتدى جومانة مايوه من قطعة واحدة سماوى اللون ، يشع منه جسدها  
النشاهق البياض ، تهبط لحوض الجاكوزى فى انتظار علا التى ظهرت  
بعد عدة ثوانى قادمة فى مايوه شرعى بلون أسود يتكون من بنطلون  
لاصق على فخذيها والساقين وبلوزة طويلة تخفى حتى أسفل مؤخرتها ،  
ترقبها جومانة فى سعادة ، تقترب قادمة كناقة عربية ، ترنو فى  
خطوات وثيدة فى شموخ ودلال بين عدة رجال يسترخون على مقاعدهم  
حول حمام السباحة ، أخذ أحدهم يرمقها بإعجاب ، عندما حازته تلفظ  
بشىء جعلها تتعثر فى خطواتها ، ابتسمت جومانة ، استقبلتها قائلة :

— ماذا فعلت بالرجل؟

— إنه قليل الحياء، هل تعرفين ماذا قال؟

— لا أريد أن أعرف، ولكنك تعثرت فى خطواتك وهذا دليل على تأثرك بما قال.

— ماذا تقولين؟ وماذا فى مختلف أومثير؟ ألا ترين قوامى السيء؟

— أنت آتية من بلاد ألف ليلة وليلة والحكايات الخرافية، أنت ذات جمال غامض يأسر من يراك .. أنت أسطورة .

"أه أسطورة، كلمة تدليل نديم لى، لا أنكر أنه ساعدنى على التصالح مع جسدى بعدما أصابته تشوهات ما بعد الحمل والرضاعة المتكررة، دائماً يداعب نهدي بعد تهدلهما ومؤخرتى التى تضخمت، مبالغاته لى وأنا أعمل فى المطبخ باحتضانى وتقبيلى، لكن كل هذا لا يجعلنى أتخلص من شعورى بالارتياح نحوه بأنه يخوننى، ربما تدليله لى يجعل هذا الشعور يخفت لكنه لا يتلاشى".

— هاى، أين ذهبت؟

تغطس برأسها، ترتطم تيارات المياه المتضاربة بوجهها، تتعشها، تعيد صياغة ذهنها، ترفع رأسها تمسح بكلماتها عينيها .

— تعلمين جومانة إتنا يجب أن نعتمد على أنفسنا اعتمادًا كليًا .

— كيف تقولين أنت هذا الكلام، إنك تحولت مع نديم من فتاة إلى مؤسسة إنه يعتمد عليك فى كل شىء .

— لكنه فى يده زمام الأمور لأنه من يمول هذه المؤسسة .

— ماذا تقصدين؟

— يجب علينا جومانة أن نعتمد على أنفسنا ماديًا، أن يكون لدينا

استقلال يدعم حريتنا ، أنا أكره الشعور بالعبودية إلا لخالقى .  
\_ كلامك منطقي ، أعددك أن أفكر فى شىء نفعله معاً ، والآن  
أرجوك اصمتى ودعينا ننعيم ببعض الاسترخاء .

\*\*\*\*

عندما أراها يتلاشى كل من حولها ، تصير هى المكان والزمان ،  
وأتساءل هل لهذه الدرجة أريدها بشدة؟ الشعر المعقوص للخلف يترك  
براحاً لتألق الوجه الصبوح بعيونه الواسعة الساحرة ، متأنقة فى تايير  
رمادى اللون يظهر مفاتن جسدها الرائع ، تمسك بكلتا يديها كوب  
القهوة الساخن ، عندما رأتنى ابتسمت لتشرق دنياى أجلس قبالتها ،  
أحرق فيها طويلاً ، تخجل وتطأطئ رأسها لأسفل :

\_ أعتذر لك عما حدث بالأمس ، أعذرني فأنت أفروديت الأغريق ،  
فينوس الرومان ، بل أنت كل آلهة جمال العالم مجتمعه .  
\_ أرجوك ، نديم لا داعى لهذه المجاملة كفى ما جاء فى رسالتك  
بالأمس .

\_ مجاملة ، أنت أعذب من سونيتات شكسبير والنأى السحرى  
لموزارت ، فطوبى لمن ينعم بهذا الجمال .

سمعت نهنية خافقة ، رأيت دمعة منسالة على الخد الوردى ، ناولتها منديلاً  
ورقياً وأنا منزعج قرأت فى عينى انزعاجى ، قالت بصوت خافت حزين :  
\_ أنا بخير ، إلا إننى محرومة من سماع تلك الكلمات الرقيقة العذبة .  
ألا يسمعك زوجك مثلها؟ أنت تلهمين أى إنسان بأن يصير شاعراً !!  
\_ زوجى رجل عملى لأقصى حد ، الرومانسيه فى قاموسه ضعف لا  
يليق بالرجال .

انطلقت تحكى باسهاب عن معاناتها كزوجة كتب عليها أن تعيش مع رجل يخشى أن يظهر مشاعره لها يعاملها بخشونة على الدوام ، لا يعطى لها أو لأولاده الكثير من أوقات فراغه ، تشغله نزواته على الدوام لا تراه إلا على مائدة الطعام أو فى السرير عندما يحتاجها لتلبية رغباته. على الرغم من هذا فهو غيور جداً عليها ، لذا فهى حريصة ألا يراها هو أو أحد معارفه ، تتكلم أو تجلس مع أحد خارج عملها ، لهذا تختار دائماً الاماكن القصية فى الكافيهات بعيداً عن العيون المتلصصة.

نظرت فى عيني مباشرة قائلة بصوت صادق:

— أرجوك نديم ، أنا فى احتياج إلى صديق يمدنى بالنصح والخبرة فى تعاملى مع زوجى .

— أنا لم أعتد أن أكون صديقاً للجماليات بل عاشقاً لهن .

— إذن فلتجرب أن تصادقهن هذه المرة .

حدقت فى وجهها وبكل جرأة قلت:

— إنى أتمناك بشدة ، أنت لا تعرفين ماذا فعلت بى منذ أن رأيتك؟

— أرجوك نديم سأغادر إذا استمررت .

أثنتها عن المغادرة ، مع وعدها بأنى سأحاول أن أكون صديقاً ، ولخلق مصداقية أعطيتها أولى نصائحي لها بأن تتحلّى بالشجاعة وتواجه زوجها وتصارحه فيما لا يعجبها فيه ، ولكن يجب أن تختار الوقت المناسب لذلك ، ابتسمت لى:

— ها قد بدأت تكون صديقاً .

استغليت رضاها ومددت يدي محتضناً كفها قائلاً لها:

— لتتأكدي فقط بأننى أريد سعادتك حتى وإن كانت مع هذا

## البغل الفارسي

— نديم يدك من فضلك نحن في مكان عام

— إذن نذهب إلى مكان خاص

— أنت تحلم

قالتها وقامت، ترتدى معطفها وتلملم أغراضها استعداداً للمفادرة، وقفنا عند باب الكافيه نرقب المطر المنهمر، خرجنا، حبات المطر تلمس وجهها فتزيده حسناً. خدعتها النشرة الجوية فلم تعتمر قبعة تحمي شعرها أو تجلب شمسية معها، سعدت بتطويقها بذراعي مخبئاً شعرها الحريري بكفى، مستمتعاً باحتوائها أوقفت لها سيارة أجرة، أوصلتها إليها، ووقفت أرقبها وهي تتعد بها.

\*\*\*\*\*

طاف بيستان جبران العديد من الفراشات، حاول جاهداً أن يقتني إحداها ليس للزقها على إطار خشبي من أجل التمتع بألوانها الزاهية، بل لبث دقائق فيها من عواطفه النادرة وحب الصافي لتجعلها تتسم طلاوة الحرية التي تعشقها الفراشات، لكنه فشل، فمن حلا الضاهر إلى سلطانه تابت الأولى أبعدها شقيقها عنه والثانية حرمة الموت منها. ليلتقى بالشاعرة جوزفين بيبودي أو بوزي كما أعتاد أن يدلها، أجزل لها مشاعر الحب إلا أنه بقي حياً من طرفه فقط، ليرك نفسه لسحر باقة من الفراشات التي لمعت في ضيائه، فمن إميلي ميشيل لشارلوت تلو ومن جرتروود ستيرن إلى هيلانة غسطين، لماري خوري ثم ماري قهوجي وغيرهن.

لكنهن لم يكن يبحثن عن الحب بمعانيه العميقة حتى يصلن إلى جوهره، بل ما يهمهن هي عشوره والارتواء من لذاته الزائلة، بل منهن

من كانت تخشى الحب مثل مى زيادة فيشجعها قائلاً:

"أتقولين أنك تخافين الحب لماذا يا صغيرتى أخافين من نور الشمس، أخافين من البحر، لا تخشى ما فيه من ألم وحنين فالحب فى الروح لا فى الجسم نعرفه كالخمر للوحى لا للسكر تعصر"

فتن جبران بمارى هاسكل تلك الثرية الأمريكية التى غمرته برعايتها، فترسله إلى باريس ليحسن تقنياته وتعرفه على الأوساط الفنية فى بوسطن ونيويورك بل نقحت نصوصه الشعرية المكتوبة بالانجليزىه شعر جبران أنه وجد أخيراً من يتفهم عواطفه النادرة ويعوضه حنان الأم، فوهبها لوحاته وعرض عليها الزواج لكنها تكسر قلبه وترفض لأسباب غامضة، كل هذه العلاقات الشائكة فى حياته ربت داخله شيئاً من الريبة يجعله يقول لإحداهن:

"أحببتك بثقة واليوم أحبك بخشية، أحبتك كما لم أحب يوماً، غير أنتى أخاف منك"

فلم ينجح جبران طيلة حياته فى اقتناء تلك الفراشة التى يبغها لتشاركه صفاء الحب وجوهرة بل فارق دنيانا وهو يخشى أجنحة الفراش من خدش مشاعره.

كتبت آخر سطر وقلته بنقطة، خرجت من الـ word وأنا أتهد ارتياحاً لإنهاى جزءاً من موضوع جبران كم أنت نقى ونبيل أيها الإنسان النادر، وكم أتمنى أن أصير مثلك، ذكر نحل يذوب عشقا فى محراب ملكته لكننى للأسف ياسيدى أشبه بعشيقاتك ألتهث مثلهن على قشور الحب ومفاته دون البحث عن لبه والتمتع بمعانيه الساميه، ما أبعدنا عن بعض ياشاعرى العظيم. يتهاى لسمعى رنة رسالة آتية، أفتحها بفارة التنقل يظهر اسم المرسل "ميتاب" أتلفت حولى باحثاً عن

مكان علا، فأنا أجلس على أريكة في صدر حجرة المعيشة، أسمع صوتها تتحدث في الهاتف من داخل المطبخ، اطمأنتت وهرعت لفتح الرسالة .

”هاى نديم، كيف حالك، بالأمس شرعت فى تنفيذ نصيحتك لى بمجابهة نجاد بسليباته إلا أنه فاجأنى بمعاملته اللطيفة معى وودعانى إلى قضاء نهاية الأسبوع فى **Ocean City**، أشكرك ودامت صداقتنا“.

ماذا تفعل هذه الجنية؟ إنها تحبه لدرجة أنه إذا أذاقها معسول الكلام نسيت الإساءة وأنست لوجوده وصحبته ولو لبعض الوقت، إنها تحاول الهروب من المجابهة وتستعوض عنها بالمسكنات التى سريعاً ما يتلاشى مفعولها ليعود الألم أشد فتكاً، ضغطت على **New** لخط رسالة .

”أنا سعيد لك بما حدث، أرجو لك التوفيق فى رحلتك وهى فرصة مناسبة لمفاتيحه بما تريدن . الصديق المؤقت والعاشق الأبدى نديم“  
ضغطت على **Send** لإرسالها.

يعلم الله أنتى صادق فى نصيحتى لها من أجل سعادتها، لكن هذا لا يمنع أنتى أشتيها من كل قلبى .

أشعر بظلم يعتم شاشة ال **Laptop**، أرفع نظرى، أفاجأ بعلا تقف أمامى واضعة يديها فى وسطها وهى حركة أعرفها جيداً، تتم عن مدى ضيقها وغضبها معاً، بحركة سريعة من أصبعى أخرج إلى **Desk Top** .

– حبيبتى ماذا بك؟

– بصوت عصبى غاضب:

– لا شيء سوى إنتى أعدد بعض الأطعمة المطلوبة منى ، وأطهو شيئاً لتأكله ، بالإضافة إلى ترتيب المنزل ومتابعة الأولاد ، أما أنت فليدك برنامجك أنتى لا تحيد عنه أبداً فمن العمل إلى الجيم للتدريب ساعات وكأنك ستدخل الأولمبياد وإذا تواجدت بالمنزل الـ **Lap top** بين أحضانك لساعات .

أقف مسرعاً محتضنها ، أهدىء من نواعجها ويصوت هامس فى أذنها.

– حبيبتى أنت تعلمين أننى أكمل عملى بالمنزل ، ومع هذا أنا فى خدمتك ماذا تريد منى؟

– الأولاد يريدون الذهاب لتدريب كرة السلة .

– حالاً ، لكن لا تفضىى أرجوكى .

أداعبها ، مدغدغاً ، مقبلاً ، حتى تلين وتبتسم .

\*\*\*\*\*

## ( ٤ )

فى يوم الأربعاء الموافق الرابع والعشرين من مايو عام ١٩٩١ ، وقف الرئيس الأمريكى جورج بوش الأب وسط المحققين بتدشين حديقة جبران خليل جبران التذكارية فى ٢١٠٠ بجادة ماساشوستس وكان الكونجرس الأمريكى فى عام ١٩٨٤ قد خصص قطعة أرض من ثمانية آلاف متر مربع بالعاصمة لوضع نصب تذكارى فيها لجبران وسط حديقة عامة تقديراً لأدبه الذى أثرى المكتبات الأمريكية والعالمية بمؤلفاته القيمة والتي ترجمت لأكثر من خمسين لغة وبلغت مبيعاتها أرقاماً قياسية.

يتصدر المكان تمثال لرأس جبران الجامع الذى طالما ماج بالأفكار الفلسفية والشعرية ، يطوقها إكليل من أغصان التفاح والعنب ويحوم حولها ثلاث يمامات ، وتتساب المياه من تحتها وسط بركة مئمة الأضلاع ذات أرض من حصي تذكرنا بسواقى قريته بشرى بلبنان ، يحيط النافورة ممر للمشاة ومن حولها فضاء من الزهر والعشب الأخضر ، يظله شجر الحور والأرز ، ومقاعد حجرية متناثرة على متكئها خطت حكم وكنوز جبران ، فواحدة تقول "نعيش معاً لنكتشف الجمال ، كل ما عدا ذلك شكل من الانتظار" وأخرى "نستخرج عناصرك ، أيتها الأرض لنصنع بها مدافع وقنابل وأنت من عناصرنا تخلقين الأيك والورود".

جلس نديم على مقعد نقش عليه "الحياة بلا حرية ، جسد بدون روح والحرية بدون فكر ضياع" كان منكباً يكتب عما تفيضه قريحته

عن شاعره المحبب لقلبه متمسماً عبيره نظر قبالته لأشجار الأرز اتسعت  
حدقتا عينيه وهو يرى ثمرات جبران تتدلى من فروعها فيها هو النبي،  
وهذا رمل وزبد، المجنون الأجنحة المتكسرة... أنتشى وجدانياً،  
ليفيق على صوت أقدام تقترب، يظهر أحد العجايز، جلس على أحد  
المقاعد الحجرية، بدأ يتصفح جريدته، نظر نديم في ساعته، اقتربت  
من الثانية عشرة، هفت عليه رياح ميثاب لملم حاجياته وقام مغادراً،  
خرج من الحديقة، ليستقل سيارة أجرة.

\*\*\*\*\*

حين جلست قبالته فى الكافيه، أخذ يحدق فى كعادته، لا  
أنكر استمتاعى بتحديثه فى طويلاً، كأننى أستمع للحن أثير إلى  
قلبي، خاصة عندما تغطي تحديثاته كامل جسدى فتحن النساء  
تعشق النظرات والإيماءات ولغة الإشارات.

أخبرنى عن نفسه كثيراً، أخبرنى بأنه يتمتع بفحولة تكفى  
عشرين سيدة، وأنه مثل الحيوان المفترس يشم رائحة الأنوثة ويتعقبها  
حتى ينالها، عندها ارتعش جسدى، هبت فيه نيران مشتعلة، شعرت  
بأنه يعتربنى أحسست بشيء عجيب يضاهى هزة الجماع، لكن فى  
نفس الوقت أغاظتنى جرأته وتباهيه بنفسه.

رددت عليه بحدة:

— كيف تجرؤ على خيانة زوجتك، يجب أن تتوقف عن النوم مع  
النساء فوراً.

— عندما تسلمين لى نفسك فسأتوب نهائياً عن كافة علاقاتى.

— أنت تحلم، بل يجب أن تكف عن هذا الحلم.

— الحلم كالأكسجين للإنسان، تريدننى أن أموت، ثم لماذا

تعتبريننى خائفاً لزوجتى، المسألة كما أننا نحب تبادل الآراء والتجوال فى عقول بعضنا فلماذا لا نتجول فى أجسادنا أيضاً، إنها سياحة بدنية تعيد للذهن صفاءه وللجسد النشاط والحيوية.

— تبرير غير منطقى لرجل يعشق الخيانة، يجب أن تفيق وتوقف.

— عندما تحاوريننى بجسدىك الغض سأكتفى به وأوقف كافة تحاوراتى الأخرى .

— لماذا تصر على إغضابى؟ قلت لك أنا أحتاج إلى صديق .

— لكننى سأعيش على أمل، فدائماً الصداقة تتحول إلى حب أما الحب فلا يتحول إلى صداقة .

أحس بملامح الغضب البادية على وجهى، اعتذر وطلب أن تنهى الحوار، ودعانى إلى التنزه فى الحديقة النباتية، نظرت فى ساعتى، وافقت فما زال أمامنا أكثر من نصف الساعة والحديقة قريبة بجانب الكابيتول.

سرنا جنباً لجنب فى الشارع، استنشقت عطره الفواح، ملامساته المفاجئة لى والتى يكسبها العفوية ودون القصد إلا أنها تنبه أحاسيسى، تجعلنى أضعف، أصير رخوة لا تحتمل المقاومة، جال بخاطرى البيت الزجاجى العملاق المسمى الحديقة النباتية بأشجاره الإستوائية العملاقة وتساءلت إلى أين أنا ذاهبة؟ إنه المكان المثالى للعشاق لما به من أماكن هادئة خالية تماماً من البشر، فكيف سأصرف معه؟ وأنا أرى فى عينيه الرغبة بل أشمها فى أنفاسه .

وقفت فجأة متعلقة أنى نسيت أن أجلس معطفى من محل التنظيف، وقبل أن يعرض على مصاحبتى أشرت لسيارة أجرة، وقبل أن يفيق من مفاجأة تصرفى استقلت السيارة.

\*\*\*\*\*

طوال طريق عودتى إلى عملى وأنا أفكر فى تصرف ميتاب  
المفاجىء، هل خافت أن تصاحبنى إلى الحديقة النباتية؟ أم أنها  
صادقة فى إدعائها؟ أه ميتاب مازلت تستعصى علىى ولكننى أرى فى  
عينيك فيضاً من الإعجاب الممزوج بتمنى الاستسلام .

دلف من بوابة مبنى عمله، توجه إلى الاستقبال، وجد الشاب الجديد  
ذا النظرات العدائية، بدا مختلفاً أصبح حليق الرأس تماماً، وقف فى  
مواجهته وجه كلامه له:

— هل جاء طرد اليوم باسمى؟

لم يرد عليه، بل أشاح بوجهه إلى الناحية الأخرى، عندها لمح نديم  
الصليب المعقوف رمز النازية الموشوم على جانب رقبته، فهم لماذا  
كل هذه النظرات العدائية والتجاهل فهذا الرمز يعبر الآن عن النازية  
الجديدة التى تحتقر الأقليات. صاح نديم فيه بغضب:

— ألا تسمعى أيها الأحمق؟

أسرع أحد زملائه بالتدخل لإنقاذ الموقف، وقف بينه وبين نديم  
وبصوت مهذب:

— مستر نديم لم يصل اليوم أى طرود باسمك .

— ألا ترى هذا الأحمق كيف يعاملنى؟ إنه يجب أن يعاقب .

يخرج الرجل من وراء الحاجز ويتأسف من جديد لنديم ويصعبه  
إلى باب المصعد، أخبره بأنه بالفعل قيد التحقيق معه لمثل هذه  
التصرفات، هدأ نديم، نظر له فوجده مازال يحرق فيه بعدوانية.

\*\*\*\*

انتهت علا من كى بعض قمصان نديم، أخذت تهندمها وترصها  
فوق بعضها بعناية، حملتهم إلى حجرة النوم فتحت خزانة ملابسه،

قمصانه المعلقة، مازال يعلق بها بقايا رائحته .

”كم أحبه وأهواه، كم أعشقه عندما يحتوينى بنظراته، عند  
التهامه شفّتي، لحظة دفته لرأسه بين ثديي عندها أشعر بأنه منى،  
حين يضمّني ويعتصرني أحس بأنه يعيد شحني بأجديات العشق.  
يوم تقدم لخطبتي وافقت فوراً، قوامه الممشوق، شخصيته الأثرة،  
كلامه المنمق بمنمنمات الغرام جعلوني طيبة، مسحورة بشذى فارس  
أحلامي تشبّث به، نصحتني أختي بأنني سوف أعانى، فانه أمامه  
الكثير ليبنى نفسه، أحببتها بأنني مستعدة لهذه المعاناة، عندها  
نظرت في عيني قائلة:

\_ هل أحببته .

\_ نعم .

\_ لا يكفى بل يجب أن تغرقى وتفقدى عقلك فى حبه، يجب أن  
يتفشى فى أرجائك، عندها فقط يمكنك دفعه إلى الأمام، لا  
تغارى من ماضيه فأنت مستقبله، لا تغارى من عائلته وأصدقائه  
فأنت قبيلته كونى متعته الدائمة وواحة راحته، كونى عالمة  
وما تقع عليه عيناه.

أه يا أختاه، لقد غرقت وجننت وتفشيت فى حبه ولم أهناً، لم أغار  
من ماضيه لكنى خائفة على مستقبلى أحفزه وأشجعه دائماً على  
الخروج مع أصدقائه ولكنى لا أجده، منذ البداية عرفت أنه مفتون  
بجنسنا الناعم دائماً كانت هواجسى تخبرنى بأن هناك أخريات  
تشاركنى فيه، لكن بصورة عابرة، نزوات وقتية ما تبرح وأن تتلاشى  
سريعاً، لكن هذه الأيام أشعر بأن الوضع مختلف، تصرفاته تعلن  
ذلك، اهتمامه الزائد بطقوسه الرياضية والاعتناء بلباقته، صبفته

لخصلات الشعر البيضاء ، استخدامه لعدسات لاصقة بدلاً من العدسات الزجاجية ، الاهتمام بمظهره وتأنقه الزائد أمام المرأة وكأنه عارض أزياء ، أوقاته الكثيرة أمام الـ Laptop بحجة العمل ، ربما ليست أدلة دامغة على شكوكي ولكنه احساس المرأة الذي لا يخطيء يصرخ في قائلها أن هناك أخرى في حياته.

\*\*\*\*\*

دخل نديم مكتب خوسية تائراً ، يرغب ويزيد ، نظر له خوسيه:

\_ ماذا بك؟

\_ هذا العنصرى الحقير الذى يعمل بالأمن ذلك المدعو جون ويلكس.

لم يجعله خوسيه يكمل بانفجاره فى الضحك .

\_ أتضحك !!

\_ إننى أضحك على سخريات القدر فأنا أعرف اثنين ذكرا على صفحات التاريخ بنفس الاسم جون ويلكس بوث الممثل الذى اغتال إبراهيم لينكولن ، ونائب مجلس العموم البريطانى جون ويلكس الذى كان معروفاً عنه عهره الفاضح ومظهره القبيح.  
\_ إنه لا يختلف عنهما كثيراً .

\_ المهم لا تشغل بالك به ، سوف يرحل قريباً ، لقد أخبرت رؤساءه بمعاملته السيئة لمعظم الناس .

\_ وهل عاملك مثلى؟

\_ نديم أنا لا تبنى أى أقل من الجنس الأرى الذى يقدره.

\_ أنا غير مصدق أن العنصرية لم تنته خاصة فى مجتمع متقدم

## كالمجتمع الأمريكى .

العنصرية نديم لم تمت أو تقترض ربما خفتت حدتها ، لكنها موجودة ، ألم يصادفك نظرة احتقار من سيد لخادم ، ألم تنظر أنت باستعلاء لأبناء المدن الجنوبية لدرجة أنهم يقولون أنه كلما اتجهت شمالاً ارتقيت ، فمازلت أسير فى الشارع وأسمع لفظة نجرو تصف أحد الأمريكان الأفارقة أو لفظة داجو للتصغير من شأن أمثالى أصحاب الجنس اللاتينى ، العنصرية سيدى فى دمنا فى جيناتنا وما يجعلها تخمد هو مدى ما وصل إليه الفرد من سمو الأخلاق .

لكن نحن فى العالم الأول الذى هو رمز التقدم والحضارة .

عزيزى ألم تسمع مقولة أن العالم الثالث يسعى حثيثاً للخلف ليصبح العالم الرابع بينما العالم الأول يسعى كما يظن للأمام نحو موقع الصفر على الأقل روحياً وأخلاقياً .

لكنى مازلت متعجباً من مجتمع ينادى ويتشدد بالحريات ونيد التعصب ، يترعع فيه كيانات عنصرية مثل النازية الجديدة وغيرها .

هذه الكيانات خاصة النازية الجديدة قد فهمت أصول اللعبة ، فمنذ وجودهم فى الخمسينيات تحت مسمى الحزب النازى الأمريكى وفشلهم فى الاستيلاء على أرضية جعلهم يستوعبون الدرس من اليهود وهو هيمنتهم على جزء من الكعكة التجارية والإعلامية ، لدرجة أننا الآن يجب أن نضيف مصطلح النازيين الجدد إلى مصطلحات حواراتنا السياسية مثل اللوى الصهيونى والمحافظين الجدد واليمين المسيحى وغيرها فهم فى الواقع يديرون جزءاً لا بأس به من اللعبة السياسية والتجارية فى العالم ومنها يأملون فى احتلال مواقع اتخاذ القرار .

– وما العمل ، هل الاستسلام حتى يصل هؤلاء إلى تحقيق مآربهم ونجد العنصرية قد رجعت لسابق عهدا من قوة وجبروت .

– القاعدة التي يعيش عليها الناس فى الولايات المتحدة وغيرها من بلدان العالم الأول ، أنهم يلتقون ولكنهم لا يتلاقون ، إن آلة الحياة تسحقهم تحت تروسها ، وعلاج ذلك هو بث جرعة أخلاق وحب فى عضل العلاقات بين الناس عن طريق مناهج التعليم ووسائل الإعلام وغيرها من مؤثرات الحياة وإلا بقى الناس بمثابة قنبلة موقوتة مهددة بالانفجار ، ناشرة شظاياها من رجعية وعنصرية وتعصب فى أرجاء المعمورة .

تتهد خوسيه وأشعل غليونه ، أخذ منه عدة أنفاس ثم قال :

– المهم أين وصلت فى كتابتك عن خليل جبران ؟

ألا تعرف خوسيه ماذا فعل بي هذا الرجل ، منذ أن درسته فى المرحلة الثانوية وسحرنى دفء كلماته وطلاوة شعره ، لم أترك كتاباً له أو عنه إلا وابتعته وقرأته بنهم ثم أعيد قراءته من جديد بنفس الحماسة والمتعة ، صدق بورخيس حين قال ثمة لذة أخرى أهم من القراءة هى إعادة القراءة . فكتابة جبران تجد فيها مبتغاك وما تبحث عنه من شعر ونثر موسيقى وفلسفة ألوان ورسوم ، تجد فيها الصبر والحكمة ، المسيح ومحمد ، صخب البحر وغموض المحيط ، كنت كلما أقرأ نصاً يشجئنى أغلق الكتاب وأنظر إلى وجهه المصبوغ بالسكينة والصفاء كالقديسين ، تشربت أفكاره وتشبعت ملامحه . كنت أمام المرأة كثيراً ما ألمحه يحتل ملامحى ، اليوم فى حديثه شعرت به يطوف حولى يدنو منى بهمس فى أذنى " الحب مصدر السعادة والنور ، هو الخبز المقدس الذى يغذى الروح ويحرر ويرفع ، ولا يجوز أن يقيد

فهو أقوى من الشرائح هو أقوى من الموت لأنه سر الحياة المتجددة " ابتسم لى وأشار بيده بعيداً حيث كان يقف شبجان اقتربت فوضعا سمت علا وميتاب يلوحان لى".

أفقت من خيالاتى على يد خوسيه تلوح لى:

\_ هاى نديم أين ذهبت؟

\_ لا تؤاخذنى، أحب أن أطمئنتك بأنى قطعت شوطاً لا بأس به فى موضوعه.

قلتها ووقفت مودعاً إياه، غادرت مكتبه ومازال بى مس جبران الطاغى.

\*\*\*\*\*

جلست ميتاب على فوتيه مريح بحجرة نومها، بعدما نام أطفالها، وزوجها كعادته خارج المنزل وضعت الـ Laptop على فخذيها وشرعت بالعمل، تناولت كوب النسكافيه من على منضدة صغيرة بجانبها، أخذت رشفة، سرحت بنظرها إلى نقوش السجادة العجمى التى تنبسط على مساحة الحجرة، تذكرت براعتها فى معرفة أنواع السجاد فهى عملت لسنوات مساعداً لأبيها فى استيراد وتجارة السجاد بأنواعه المختلفة حتى أصبحت بمجرد مايقع نظرها على نقوش وألوان سجادة فسرعان ما تحدد من أى فصيل تنتمى.

تاقت عينها فى عقد السجادة العجمى التى تمتاز بكثرة عقدها التى تصل إلى أكثر من مليون عقده، فكلما زادت العقد زادت نعومتها .

"كم تشبهينى أيتها السجادة، فمن يراك يفتح فاه دهشة من روعة رسوماتك وألوانك، لكن من يدقق النظر فى نقوشك سيقف مشدوهاً أمام مدى تعقدك، فمن يصدق أن الحب الكبير بينى وبين نجاد الذى فاح عبيره فى المرحلة الثانوية واستمر سنوات طوال ينتهى بحياة تعسة.

— إنه لا يصلح لك، ألا ترين كيف يعامل والديه بخشونة؟  
أه كم كنت حكيمًا يا أبى، اتهمتكم وقتها بأنك لا تريد سعادتي.  
أتركين عائلتك وتذهبين مع عائلته بعيدًا عن بوسطن مدينتك التي  
تربيت ونشأت بها؟

اتهمتكم بأنك لا يهكم سوى تجارتك والخوف عليها بعد رحيلي .  
رئين وصول رسالة على الـ Laptop يفيقها، تفتحها، كانت من  
نديم، تقرأها

أتعلمين أن اسمك بداية أبجديات انكون، فى عيونك العسلية  
آلاف الأشجار المثمرة، فى صوتك الناعم تسايح الكروان، أعلمى إننى  
بأننى سأجعل من أيامى نهرًا من عاطفة لتسبحى بها، أعلمى إننى  
أسجد للخالق ليل نهار وفى قلبى نداء صوفى بأن تكونى حبيبتي طول  
العمر"

أعلم نديم ماذا تريد منى؟ إنك ترغب بشدة فى ضمى إلى باقتك التي  
تتباهى بنيلك منها، لكنى لن أخون لن أحول خرافات زوجى لحقيقة،  
لن أنضم نديم لحبات مسيحتك الملعونة، أنت للأسف لا تدري أهميتك  
فى حياتى، أنت بوصلتى، مرشدى، لكنك لا تقدر ذلك.

تواصل الضغط على مشاعري، تعيث بعواطفى كإعصار جامع  
وأنا نبتة ضعيفة لا تقوى على الصمود أمام فيضان مفرداتك المعسولة.

\*\*\*\*\*

منزل جان يقع فى نفس الحى الذى أقيم فيه، يبعد عنه مسافة  
خمس عشرة دقيقة بالسيارة، منزله عبارة عن فيلا مكونة من طابقين  
يحيطها حديقة مشجرة ومن الخلف حمام سباحة، ورثها جان عن عمه  
ملحم الرجل الذى رياه بعدما هاجر به من لبنان عام ١٩٧٧ وعمره اثنا

عشر عامًا ، كان هو كل من بقى من عائلته التى فقدتها عن بكرة أبيها فى الحرب الأهلية اللبنانية ، التى دامت ستة عشر عامًا من عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٩٠ قام عمه بتربيته حتى تخرجه فى كلية الهندسة ثم ورت أعماله فى مجال المقاولات ورغم أن جان عاش معظم عمره فى الولايات المتحدة ، إلا أنه لم يتكيف طوال هذه السنوات مع بيئته الجديدة وظلت ذكرياته المؤلمة عن فقدته عائلته تؤرقه حتى ترجمت إلى شعور بالرهبة والخوف مما هوأت ثم تطور هذا الشعور إلى احساس بفقد هويته الأم وعدم اقتناعه بأمريكيتيه فى نفس الوقت ، بل وصل الأمر إلى تجاهل زوجته التى تذكره بأرضه الأم التى سلبته عائلته لكن لتفهم جومانه حالته تقف بجانبه بقوة وتعامله بحساسية مرهفة حتى يستطيع تخطى حاجزه النفسى بسلام.

لسنوات طويلة رفض جان فكرة أن يذهب لطبيب نفسى على الرغم من أن حالته تعرف فى علم النفس بـ **Homesickness** الحنين للوطن ويسهل علاجها ، ويعرفها علم النفس بأنها شعور بالضيق والعجز سببه الانفصال العقلى عن البيئة التى ينشأ ويتربى فيها الإنسان ، فيشعر بغربة قاتلة تسحقه بأيدى القلق والاكتئاب بدون مبرر واضح.

أتذكر فى نفس الوقت من العام الماضى استدعتنى جومانه لأنه كان فى حالة يرثى لها ، دخلت عليه وجدته يجلس أمام النافذة ومبسم الشيشة فى فمه ، متأملًا تساقط أوراق الشجر وكيف يتلاعب بها الهواء العاصف نظرتى قائلًا بصوت خافت:

— أنا مثل هذه الأوراق الضائعة التى فقدت أمها ، تتلاعب دوامات الهواء بها حتى تسقطها أرضًا لتطأها قدم باطشة لتنتهى وجودها.

تعلم نديم برغم أمريكيتى إلا أنني أشعر بأنه لا وطن لى ، مجرد

ضال ، تائه ، فأمریکا ليست بوتقة كبلدك مصر تنصهر فيها الأجناس من الهكسسوس إلى الإنجليز بل هي مجرد أرض لا تصهرك فيها ولا تحرك منها ، إنها أرض مسحورة تشعر فيها بأن وجودك مؤقت وأنتك ستعود حتماً لوطنك الأم في يوم من الأيام ولكنك لا تستطيع فراقها وتوصم بهذا الشعور حتى مماتك.

أخبرته أن الشعور بالغبية قاس ، ولكن هناك الكثير من شعوبنا يعانون الغربية في أوطانهم ووسط أهاليهم وهذا أقسى ، جان نحن نعيش في أوطاننا مواطنين من الدرجة الثالثة ، بعد الأجانب والأغنياء مسلوبى الحقوق والحرية بل والحياة وأمامك عيد زوج أخت علا ، عندما عرضوا عليه العمل مهندس بترول في الخليج كمصري رفض لعلمه بأنه سيعامل كعبد يتحكم فيه كفيل ، أما عندما عرضوا عليه القدوم كأمرىكى وافق على الفور ، لأنه يعلم أنه سيعامل كخبير عالمى ، جان انس أن لك تاريخاً وماضيًا يكفيك أن تعيش حاضرك. عند سماعه هذه الجملة ، وقف مدعورًا كمن لدغه عقرب وصاح في بغضب جم.

— من لا تاريخ له لا حاضر له .

ثم نظر فى عينى وقال بصوت مهزوم

— الوطن غال ، غال .

بدأ يترنح تلقفته بين ذراعى ، سامعًا نههته على كتفى ثم أجهش فى بكاء مر ، ليفقد الوعي على أثره. نقلناه إلى المستشفى ومكث بها أسبوعين يعالج من انهيار عصبى .

اليوم دخلت عليه ، كان مسترخياً فى حجرة المعيشة يستمع إلى صوت فيروز يصدح ، بادرنى:

– جومانه اتصلت بك، لا تتف .

أومأت له برأسى موافقاً .

– هى تخشى على أن أتهار كالعالم الماضى، لكنى أوكد لكم  
أنى بخير.

بصمت وبتصت إلى صوت فيروز، بعد عدة ثوان عاود النظر الى،  
رأيت غرغرة الدموع فى مقلتيه قال بصوت محشرج:

– ألا تشناق لمصر؟

– النيل، الناس الطيبة، الشمس المشرقة، الزحمة، طبعاً .

– شجر الأرز، الزيتون، الشوارع، البيوت، رائحة الجبل، الربوع  
الخضراء .

– يجب أن تسافر لتراها جان.

– لا أستطيع، هناك مانع يحول بينى وبينها، يمنعنى حتى من مجرد  
ذكر اسمها .

– ألم تخفف عنك السنين ما حدث؟

– كيف؟ هل أنسى أبى وأمى وأخوتى؟ منزلنا ذا الأربعة طوابق  
وحديقته الوارفة، يومها رجعنا أنا وعمى من رحلة الصيد  
وجدناه كومة من الأحجار والغبار الدامى، أشلاءهم دفنت  
تحت الانقاض لا جنازة لا كتيبة لا تراتيل لا شموع لا معزين  
فقط العراء، تلحفت يد عمى واختبأت فى ظله أسرعت أرجلنا  
الرحيل، هرولت، تسابقت لصعود سلم البراق للهرب من الخراب  
من جهنم الحمراء.

– أحمد ريك أن عمك ملحم كان معك .

— عمى .. حتى عمى تركنى ورحل .

— أنت لئن تتخلص من هذا الشعور إلا بسفرك لبلدك ولاسيما أنها عادت أفضل من الماضى .

أخذ يتهد فى ضيق ثم قال بحزن:

— إنه السكون الذى يسبق العاصفة ، إننى أرى حريًا جديدة تلوح فى الأفق ، لا تأمن نديم لبلد ينقسم إلى أكثر من عشرين طائفة وكل طائفة تسيطر عليها مجموعة من العشائر تتوارث نفوذها وتعمل من أجل مصالحها فقط ، ناهيك عن مصالح الدول المتضاربة ، فسوريا لا تنس أننا كنا جزءًا منها إسرائيل لا تقبل أن تموت عطشًا ونحن نرمى مياه نهر الليطانى بالبحر ، وإيران تريد تواجدًا فى المنطقة من خلال حزب الله ، وباقى دول المنطقة تريدها مركزًا لغسيل أموالها واستثماراتها بلا نفوذ.

\*\*\*\*\*

استقلت سيارتى ، وأنا أفكر فى جان ومعاناته ، لكنى حمدت الله أنه متماسك هذه المرة ولم ينهار كسابقتها الـ **Blackberry** يعلن قدوم رسالة ، كانت من متياب مقتضبة للغاية "أراك غدًا فى الكافيه لا تتأخر"

الى متى أمضى طوال هذه الفترة فى لمسات محتالة للنهد ، وضربات خاطفة على الأرداف ، إلى متى ستطول تلك الأفعال الصيبانية ، أشتاق أن أراها عارية أن أحاصرها ، أحتلها ، لكن ليس هذا فقط ما تنزع إليه نفسى ، إننى أشتاق لالتحاف روحها مثل جسدها لا أعرف ماذا فعلت بي تلك الفارسية؟ إن مشاعرى تجاهها غير قادر على التحكم فيها كزلزال مدمر يدهننى داخله.

أصبحت مسكوناً بطيفها، تجلس بجوارى فى الممترو، تشاركنى  
كوب القهوة فى الكافيه، تومض صورتها على شاشة الحاسوب، بل  
بدأت تتراعى لى فى حجرة نومى، ألهمه الدرجة تمكن شذاها منى؟  
وعلا، هل وهن حبها فى قلبى، أم بهتت صورتها فى عقلى؟  
لا .. لا .. علاهى ملاذى، سكنى، أم أولادى، أنا لا أتخيل حياتى  
بدونها . ماذا تفعله بى عواطفى ؟  
أحب علا وأهوى ميتاب، أعنى يا الله .

\*\*\*\*\*

منطقة **Mall Area** المتاخمة لمنطقة الكابيتول هيل والتي تضم مجتمعا ضخما من الحدائق العامة والنصب التذكارية ، ويقع فيها معظم متاحف العاصمة ، مثل إدارة الوثائق الوطنية والمحفوظات التي تحتوى على وثيقة الاستقلال ، و مجموعة المتاحف التابعة لمؤسسة سميث سونيان **Smithsonian Institution** وهي مؤسسة تعليمية بحثية تمولها وتديرها الحكومة تأسست عام ١٩٤٦ ، ومن أشهر متاحفها متحف التاريخ الطبيعي الذي يضم أكثر من مائة وخمسة وعشرين عينة من النباتات والمعادن والصخور والنيازك ويضم نخبة كبيرة من علماء الطبيعة المحترفين ، ومتحف التاريخ والتكنولوجيا الأمريكى ويعرض فيه التاريخ الاجتماعى والثقافى والعلمى والسياسى والعسكرى والتكنولوجى للولايات المتحدة والمتحف البريدى الوطنى الذى يضم آلاف الوثائق والطوابع على مدار تاريخ الخدمة البريدية فى البلاد والمتحف الوطنى للفضاء الذى يزوره سنويا أكثر من ستة ملايين زائر ويحكى التاريخ الأمريكى فى الطيران وغزو الفضاء ، وتمتاز أغلب متاحف الولايات المتحدة عن باقى متاحف العالم بأن دخولها مجان .

ومن أشهر متاحف العاصمة ، المتحف الوطنى للفنون **National Gallery of Art** والذى تعمل به جيسيكا هوفمان وهو يقع بين الشارعين الثالث والسابع شمال غرب طريق الدستور **Constitution Ave** . يزور المتحف سنويا أكثر من خمسة ملايين زائر ، ويضم آلاف التحف

واللوحات الفنية من كافة المدارس والعصور، وتقد أنشئ عام ١٩٢٨ على يد أندرو ميلون كفكرة، وتبناها الكونجرس الأمريكي وافتتح رسمياً في عام ١٩٢٨ وملحق بالمتحف أماكن للاستراحة منها **Grand Café Francais** وهي بقعة هادئة لتناول الغذاء حيث يقدم مأكولات فرنسية عالية المذاق.

دلف نديم من بوابة المتحف لملاقة جيسيكاً حيث أخبرته أنها تعمل يوم عطلتها لفحص بعض الوثائق النادرة دخل مكتبها، وجدها تجلس منكفئة على عملها، استقبلته بابتسامة، قامت من مقعدها محتضناه طابعة على شفطيه قبلة سريعة، بصوت هامس قال في أذنها: \_ لم أرك الإثتين السابق لراحتك الشهرية وهذا الإثتين أنت في المتحف، إنى أشتاق إليك .

تلقت حوله مسترسلاً:

\_ جيسى ألا يوجد هنا حجرة لاستراحتك؟

\_ أيها المخادع، كفى تلاعباً بفرائزى فأنا أيضاً أشتاق إليك .

يلمح على مكتبها بحثاً خط عليه "رئيس الثاني فرعون موسى" يمسكه نديم، يقلب فيه، يعبس وجهه يتركه وهو يتمتم بصوت خافت، تلاحظ عبوس وجهه:

\_ ماذا بك؟ أراك قد تضايقت من البحث .

\_ الى متى تستمد الخرافات عبر الأيام صفة الواقعية وتصير حقائق دامغة .

\_ وما الذى لا يعجبك فيه؟

\_ لا تستفزنى جيسيكاً .

أنا أعلم جيداً أسلوبها عندما تريد أن تستخرج مني ما تريد معرفته ،  
تحاول استفزازي ، حاولت ألا أنساق وراء استفزازها لولا ابتسامتها  
التهكمية المرسومة على وجهها جعلت ما بداخلي يفور وينفجر بلسان  
ما قرأته في عشرات الكتب التاريخية والباحثة في ذلك الموضوع ."

أخبرتها بصوت هادئ قدر استطاعتي بأن موضوع رمسيس الثاني  
فرعون موسى ما هو إلا كذبة وفرية صهيونية هدفها وصم المصريين  
بجريمة تعذيب بنى اسرائيل وللأسف فإن علماءنا من مفسرى كتابنا  
المقدس انجرفوا وراء هذه الاسرائيليات ونقلوا عنها دون تحليل  
ليخلقوا ساتراً فولاذياً حموا به تلك الافتراءات واختاروا أعظم ملوك  
مصر رمسيس الثاني ليشوهوه ، بل حاولوا بطريق الخديعة أن يخرجوا  
موميائه من مصر بادعاء اصابها بالبكتريا والطفيليات إلى فرنسا  
في عام ١٩٧٦ للعلاج ، ليذهب موسى ديان لزيارة المومياء سراً ، يقف  
أمامها ، ويداعب باستخفاف قدمها بمصا المارشالية مخاطباً إياها  
"أخرجتنا من مصرأ حياء وأخرجناك منها ميتاً" أين حرمة الموت؟

— أرجوك جيسى اسمعى منى بعقلك المتفتح المستنير لتلك الأدلة  
الدامغة بأن فرعون موسى ما هو إلا رجل من قومه وأن فرعون هو  
اسم علم وليس لقباً.

إن الكتب السماوية الثلاثة تقر بأن كل رسول أرسل لقومه  
خاصة وبلسانهم ، إذن فموسى عليه السلام نزل في أهله الذين كانوا  
يعيشون في كنف الاحتلال الهكسوسى لمصر ، يؤكد كلامى  
مؤرخهم يوسيفوس عندما ذكر أن بنى اسرائيل دخلوا مصر في  
زمن الاحتلال الهكسوسى لمصر وهذا ما أكده أيضاً المؤرخ زينون  
كاسيدوفسكى ."

تقاطعنى جيسى:

— ولكن كيف تثبت لى أن فرعون اسم لرجل من قوم موسى؟  
لأن كلمة فرعون لم يأت ذكرها فى القرآن معرفة بالألف واللام  
آداة التعريف فى العربية بل دائماً ما تذكر نكرة مما يدل على أنه  
اسم علم، ثم جاء ذكرها مصحوحياً لشخصين من الأعلام هما هامان  
وقارون، كذلك لم يأت ذكرها جمعاً على غرار ملوك أو أمراء لأن  
أسماء الأعلام لا تجمع.

تقاطعنى مرة أخرى:

— نديم أنت تأتىني بأدلة من كتابك المقدس أنت وليس كتابي  
أنا.

— معك حق سأورد لك حالاً أدلة من التوراة، تعلمين بأن أنبياء الله  
إبراهيم ويعقوب ويوسف جاءوا أرض مصر وعاصروا حكامها  
إلا أن كتابك لم يطلق على أى منهم لقب فرعون، بل أطلق عليه  
لقب الملك أو عزيز مصر، ثم جاء ذكر فرعون موسى كاسم  
علم فى التوراة فى الاصحاح ١١ الخروج ٦ "فرعون ملك مصر"  
فى الاصحاح ١٣ الخروج ٧ "أشتد قلب فرعون" وأنت تعلمين أنه  
كان لايد للتوراة من ذكر اسم الملك الذى اضطهد اليهود،  
وليس من المعقول أن يأتى ذكره مفخماً بذكر لقبه، لاسيما  
أن التوراة ذكرت ملوك آخرين لمصر بأسمائهم أقل أهمية من  
فرعون موسى مثل نخاو وشيشنق.

أتوقف لحظة، أرى فى عينيها شغفاً واهتماماً بما أقوله، تهز رأسها  
لحشى على الاسترسال.

الأهم جيسى بأن اسم فرعون أصله عريي ومنتشر حتى الآن فى

السعوديه واليمن ثم لماذا نتجاهل بأن اسم فرعون قد تحول إلى لقب لكل ديكتاتور فأطلق المؤرخون اسمه على كل ملوك العماليق وهو أمر شائع في التاريخ أن يتحول اسم علم إلى لقب مثل كسرى حاكم الفرس تحول اسمه إلى لقب لكل ملوك الفرس من بعده ويوليوس قيصر حاكم الرومان والنجاشي في الحبشة.

ثم نأتى إلى حقيقة أخرى دامغة بأن فرعون موسى كان لا ينجب بدليل تبنيه لموسى فترة طويلة ، أما رمسيس الثانى فقد تزوج من ثمانى نساء وأنجب أكثر من مائة وخمسين ابناً نقشت أسماءهم على جدران معبد الرمسيوم ثم أن رمسيس حكم مصر سبعة وستين عاماً وظل يحكم حتى أصبح في الرابعة والتسعين فكيف في هذا العمر يقود عجلته الحربية ويطارد اليهود في هذه السن الطاعنة.

قامت جيسكا مقترية منى قائلة:

– حبيبي من الواضح أنك قرأت كثيراً في هذا الموضوع ولديك فيه حجج منطقية ، فلماذا لا تكتبه في مجلتك .  
– سيأتى يوم يسمحون لى بكتابته .

الآن هيا بنا فأنا أدعوك على الغداء ، ما رأيك في شريحة لحم مطهية على الطريقة الفرنسية .

لا مانع ولكنى قبلها أريد أن أفتح شهيتى بقبلة على الطريقة الفرنسية.

قلتها وهجمت عليها أقبلها بنهم.

\*\*\*\*

أوقفت علا سيارتها في ساحة انتظار سوپر ماركت Wegmans الذى يبعد عن منزلها مسافة ثلاثين دقيقة على الطريق السريع ، ترجلت

هي وجومانة من السيارة .

”كم أحب هذا المحل لرقبه في ديكوراته ومعروضاته ، بالأمس أخبرتني جومانة بأنها قرأت أنه يقوم بعملية للتشجيع على فقد السعرات الحرارية من خلال نصائح لأطباء متواجدين بفروع المحل يشرحون لرواده أنواع الحميات ، يذكرني هذا بمبادرته في عام ٢٠٠٨ عندما امتنع عن بيع منتجات التبغ وقدم لموظفيه برامج للمساعدة على التوقف عن التدخين .

توجهنا إلى ركن الأطعمة ذات السعرات الحرارية المنخفضة ، وجدنا بعض الرواد ملتفين حول أحد الأطباء الذي كان يتحدث فيهم بحماسة:

— أخيراً أفضل أنواع الحميات هو رجيم السعرات المنخفضة حيث تعتمد على تناول عدد من السعرات الحرارية التي تقل عن احتياج الجسم بحوالي ٥٠٠ سعر تقريباً ، معتمداً على جدول دقيق لمعرفة سعرات كل صنف من المواد الغذائية ويمكنكم أخذ هذا الجدول الآن . اختتم حديثه وشرع يوزعه على الحضور ، تناولت جومانة جدول ومالت على قائلة:

— إنها معلومات مفيدة يا علا ولكننا لم نلحق كلامه من البداية.

جومانة هذا يكفي ، لقد سمعت الخلاصة ، هيا بنا الآن نأكل.

نظرت لى باستغراب:

— ماذا ؟ والرجيم .

— أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

تضاحكنا ، ودخلنا إلى المطعم الملحق بالمحل ، جلست قبالتها على المائدة ، أخذت أمعن النظر في جمالها الذابل ، بدا وجهها يكتم غضباً جمًا ، يصرخ في نطاق اللبانة التي تلوكتها في فمها بعصبية

بالغة ، يخطر ببالي عدم اقتراب جان منها لفترة طويلة ، أعرف بأن هذا يسقمها ، يحرق أعصابها ، يجعلها شاحبة ، يفرقها في داخل شلالات من السأم والرتابة التي تقرض أطراف عمرها ، يسجنها داخل تيه معقد يبتلع حياتها الزوجية ، ابتسمت لها .

— لم يحدث جديد بينك وبين جان؟

هزت رأسها نفيًا طفقت دمعتان ثم تهتت قائلة بصوت حزين:

— لقد تحولت إلى امرأة خط فوق جبينها أن تعيش بلا سعادة ، تعرفين ماذا يحزنني أكثر، شعوره بالذنب، لذا فهو يأخذ على عاتقه أن يريحني ويوفر لي أنا والأولاد أي شيء بمجرد التفكير فيه وما يعذبني ويتعسني أكثر عندما ألمح في عينيه نظرات الاستعطاف المستجدية للصبر.

— ولماذا لا تشجعيه وتكسري حاجز خوفه من الاقتراب منك؟

— لقد حاولت كثيرًا ، لكنني توقفت عندما رأيت ما ينتابه من ضيق كلما حاولت ، علا ، أنت تعلمين كم أحبه وأحاول مساعدته لتجاوز محنته لذا فإنني الآن أكتفي بالطرق غير المباشرة مثل التحول إلى صديق يشاركه الحوار أحيانًا ويتجاهله أحيانًا حتى لا أزيد من شعوره بالذنب وجلد الذات.

— كم أنت عظيمة جومانة .

— عظيمة !! إنني أصبحت إنسانة متبلدة المشاعر ، نسيت أنني أنثى إنني قاربت أن أتحوّل إلى تمثال رخامي يقف في بهو حديقتنا تحط على كتفيه الطيور فلا تجد نفسًا دفئًا أو جسدًا حيًا .

قالت الجملة الأخيرة ، وأجهشت في البكاء ، مما جعلني أنتقل إلى جوارها ، أحضنتها:

فعلًا الرجال تقتلن الكراهية والنساء يقتلن الحب .

تشبثت بي وهى تهنه فقلت لها مداعبة :

\_ جومانة ، كفى أرجوك العيون تبحلق بنا سيتصورون أننا مثليين .

ضحكت وراق وجهها بعض الشيء استرسلت وأنا أفتح قائمة الطعام .

\_ ها ، ماذا ستأكلين؟

\*\*\*\*\*

جاء صوتها عبر الهاتف يخبرنى بأنها تعتذر عن لقائى فى الـ Lunch Time ، لذهابها إلى محل Victoria's Secret لشراء لانجيرى لنفسها ، إنتشى جسدى رغبة فيها عند سماعى كلمة لانجيرى ، أطلقت لخيالى العنان متمتعا بخبايا جسدها الغض ، أصررت على مصاحبتيها قائلاً ، من حقى أن أشارك اختيار ملابسك ، قالت لكنها ملابسى الداخلية ، رددت عليها بأننى رجل وأعلم الألوان التى تثير الرجال ، خاصة وإننى خبير بأسرارها فالأزرق مثلاً يهدىء الأعصاب والأحمر يثير العواطف والأخضر رمز المحبة والأصفر غيره والأبيض صفاء والبنفسجى حنان ، قاطعتنى ، لكنه يحب اللون الأسود ، آه لون الغموض والسحر ، لون يقلل من أبعاد المسافات .

قلت بصوت حازم : اسمعى سأصطحبك مهما كلفنى الأمر .

قابلتها أمام المحل ، استقبلتنى يابتسامه قائلة :

\_ أنت عنيد ، لماذا اصرارك على مصاحبتي؟

\_ لأرى ، هل ما تخفيه أجمل مما تظهره .

\_ ماذا !! أتتصور أنك سترانى عارية .

– ومن قال عارية ، بل بملابسك اداخلية ، مثلما تنزلين البحر أمام  
أعين الناس بالمايوه البكيني .

– البحر مكان عام .

– والمحل مكان عام ، ميتاب إننى سأشاهدك فقط دون لمس .

– نديم أنت مجنون .

دخلنا المحل اتجهنا إلى قسم الانجيرى ، آلاف الأطقم المعلقة  
والمرصوفة على الأرفف بكل ألوان الطيف بأقمشة متنوعة من  
الحرير والستان المطعم بالدانتيل والبعض مرصع بالستراس أو نقشات  
ورسومات مختلفة وأخرى سادة .

أخذت قلب وتنتقى فيما هو معلق وبين الأرفف ، نظرت لى قائلة :

– نديم إننى أشعر بالحرج أرجوك ابتعد .

ابتعدت عنها عدة أمتار متصنفاً الانشغال بمشاهدة قسم العطور ، بعد  
فترة رأيتها تختار طقمًا أسودًا من الدانتيل الشفاف وآخر أحمر من الحرير ،  
حملتهم واتجهت إلى حجرة القياس ، انتظرت عدة دقائق ، ثم اقتربت بهدوء  
شديد من حجرة القياس وأنا أحلم بمشاهدتها عارية ، تملكتنى الأعيب  
الشهوة ، مددت يدي بوجل ، أدرت مقبض الباب ببطء ، وبسرعة خاطفة  
فتحته ودخلت ، كانت تقف أمام المرأة كما ولدتها أمها الشعر الحريري  
ينسدل على الأكتاف المرمرية ، ينساب الجسد بضيق حتى الخصر ليتسع  
مع تدوير المؤخرة الرائعة ، فخذان ملفوفان بحكمة وساقان ممتلئان  
بفتة ، قبل أن تستدير ، طوقتها بذراعى محتضنها من الخلف لثمت رقبتها  
بشفتى ، صاحت بصوت ناعم ، لا يا نديم أرجوك ، حبيب كامل جسدها  
نشوة ضغطت بكفى على ثديها ، اعتصرتهما صدرت منها أهة تلذذ ،  
هبطت إحدى كفاي إلى دلتاها ، لكنها استدارت فجأة مخلصه نفسها

من حصاري، صائحة بغضب جارف في وجهي، كفى .. كفى، وبسرعة خاطفة رفعت يدها وصفعتني بقوة، استشطت غضباً، اصططت أسناني في محاولة لكظم غيظي، أردت أن أرد الصفحة بأقوى منها أو أوجه لها لكمة تطيح بجمال وجهها، تمالكت حنقي أمسكتها من كلتا ذراعيها بقوة صحت فيها بصوت مكتوم بغيظه: لماذا فعلت هذا؟ لماذا؟ ثم تركتها وأنسجت مسرعاً، خارجاً من المحل .

سرت في الشارع عائداً إلى عملي متسائلاً لماذا تصرفت بهذا الشكل الغريب؟ فهي وافقت على مرافقتي لها وهي تعلم في قرارة نفسها أنني أتحرق شوقاً لنيلها، ما الذي أستفزها لدرجة صفعي؟ لقد شعرت بمدى تمتعها بملامستي لها . أم أنها تختبر رد فعلي وترقب هل سأعاملها بقسوة مثل زوجها؟ لا أعرف كيف أعامل تلك الفارسية انغامضة ؟

\*\*\*\*\*

المررة الخامسة التي يمد فيها نديم يده ليكتفم رنين الهاتف، عندما يرى أن المتصل ميتاب، تصله رسالة منها يقرأها " آسفة، أرجوك تقبل اعتذاري" قرأها وأغلق الهاتف .

دخل إلى بهو مجلته سار في الدهليز المؤدى إلى مكتبه، جاءه صوت جانيت تناديه:

— هاى يا عربى .

وقف نديم، دخل مكتبها وبصوت غاضب:

— لا تستفزىنى جانيت بالتهكم على بنى جنسى فأنت لا تعرفين قدرهم .

— من قال إننى أتهكم أنا أناديك ببني جنسك، أنت من تريد أن

تتنصل من أصلك .

— أنت مخبولة ، أنا لى كل الفخر بأن أنتمى إلى العرب ، هلى  
تعليمين مدى اسهاماتهم فى الحضارة الانسانية عبر عصور طويلة  
. أو أكلمك بمنطقك البراجماتى الذى تؤمنين به وأذكرك بما  
ساهم به الأمريكان العرب فى حضارتك التى تتباهين بها ، لقد  
وصلوا لأعلى المراتب فى دولتك ، مثل جون هـ. سينونو رئيس هيئة  
العاملين بالبيت الأبيض فى عهد جورج بوش ووزيرة الصحة دونا  
شلالا فى عهد بيل كلينتون ووزير الطاقة سبنسر إبراهيم فى عهد  
جورج دبليو بوش وفى الأدب من تتشدين بانتمائه لأمريكا خليل  
جبران والأدبية السورية منى سميسون وشقيقها ستيف جوبز رئيس  
شركة آبل ماكنتوش والمفكر إدوارد سعيد والحائز على نوبل  
فى الفيزياء أحمد زويل والجيولوجى فاروق الباز الذى ساهم فى  
التخطيط لكافة رحلات أبوللو إلى القمر حتى فى المجال الفنى  
فمن ينسى المطربين بول أنكا وبولا أيدول والممثلين إبراهيم  
موراى وتونى شلهوب والناشط السياسى والمرشح للرئاسة رالف  
نادر ، انهم كثر جانيت ومرموقون فى مجتمعك لكنهم للأسف  
يعانون من سوء الفهم خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر  
والإعلام يصورهم كباقى الأقليات بشكل سلبى برغم أنهم  
يشكلون قوى لا يستهان بها فى مجتمعك.

تستمر فى تهكمها قائلة :

— نعم فهؤلاء من تتباهى بهم من بنى جنسك قطفوا ثمار ما زرعه  
أجدادى بدمائهم .

— ومن ينكر كفاح الأفارقة الأمريكان من أجل إرساء المساواة

والمشاركة فى بناء حضارة هذه البلاد لكن يجب أن تعرفى أن العرب قد شاركوا أيضاً فى البناء فأول الهجرات العربية لأمريكا كانت عام ١٨٨٠ من عائلات شامية، أتعرفين أن من أشهر المهاجرين العرب لأمريكا رجل سورى يدعى الحاج على جاء إلى أمريكا عام ١٨٥٦ لمساعدة الجيش الأمريكى على استخدام الجمال فى عمليات النقل عبر الصحراء بين تكساس وسان دييجو بكاليفورنيا، جاء مصطحباً معه ثلاثة وثلاثين جملاً وهناك لوحة تذكارية لهذا الرجل فى ولاية أريزونا ونقش على قبره عبارة "معاون أمين حكومة الولايات المتحدة طوال ثلاثين عاماً".

يزداد تهكمها :

— واضح من ارتباط العرب بالجمل آلاف السنين فتعلموا منه كيف يهادنون ويصبرون ويصيرون ثم يبركون .

نظرت لها بغيظ فقلت ساخراً :

— أتعلمين جانبيت أن هذا المبنى الذى تجلسين فى أحد مكاتبه الواسعة على مقعدك الوثير، كان من مائة عام مولاً تجارياً ضخماً، وكان يحرم على الهنود الحمر والصينيين وبنى جنسك من أن يمروا فقط من أمامه، لذا وجب عليك أن تترحمى على إبراهيم لينكولن الذى حرر أجدادك من العبودية .

— أنت حقير.

كالعادة استطاع نديم أن يثير غضبها ، فقامت من وراء مكتبها مسرعة لتلحق به وهى تصيح فيه :

— قف يا غدا يا أفاق .

\*\*\*\*\*

فى الثلاثة أيام التالية لخلافه مع ميتاب لم يذهب نديم إلى الكافيه فى موعد الـ **Lunch Time** وفى اليوم الرابع كان يجلس فى مكتبه بالمجلة ، طرقت الباب ، انفرج عن سمتها فى تاير كحلى ، يطل وجهها بابتسامة مشرقة ، أخذته المفاجأة فلم يقم من مقعده ، جلست قبالة ، أخذتا ينظران لبعضهما فى صمت ، بعد عدة ثوان قالت دلال :

– ألن ترحب بى؟

– أهلاً بك فى كل وقت .

– كيف وأنت لا ترد على مكالماتى ورسائلى ، حتى إنك توقفت عن المجىء إلى الكافيه .

نظرت إلى وجهه مسترسلة :

– مازالت تؤلمك؟

– لولا أتنى أحترم المرأة لكنت الآن فى المستشفى .

– لا تنسَ ماذا فعلت؟

– لا تنسى أنت أننى رجل لا يستطيع كبح جماح شهوته وهو يرى أمامه جسداً عارياً كل إنش فيه تدعوك لإتهامه وتريدنى أقف كصنم بلا مشاعر .

– أرجوك نديم ، توقف أنا لا أريد سماع المزيد .

قالتها وقامت ، وقفت بجوارى ، انحنت على ، ابتلع شعرها وجهى ، تنشقت رائحة جسدها النواح يعطر الفانيليا ، فى لحظات تحورت أعضائى وأحاسيسى واختزلت فى وجنتى ، عندما لامستها شفاتها الناعمتان كالمقطيفة ، شعرت بشلالات من الرغبة تجربنى داخلها ، تنهى لى صوتها يخترق أذننى كقيثارة مغوية :

\_ أظن هذه القبلة تنهى خلافتنا.

مددت يدي أمسك خصرها في محاولة لإحتضانها ، تخلصت من يدي مسرعة :

\_ أنت لا فائدة منك.

\_ وأنت لا تضحكين على قبلة أخوية ، أنا أريدها فرنسية ألهم فيها شفتيك يذوب فيها لسانك في فمي .

أمسكت حقيبتها وهي تهتم بالمفادرة :

\_ أنت تحلم ، لكنى أوعدك بإرسالي لك الصورة التي تمنيتها كثيرًا منى .

\_ بالبكينى طبعًا .

\_ مازلت تحلم ، لكن أعدك بأنها ستلاقي إعجابك .

قالتها وأغلقت الباب وراءها .

\*\*\*\*\*

أنساب ماء الدش بغزارة على جسدى ، نظرت في المرأة وأنا أضغط على قطعة الإسفنج ليسيل السائل الصابونى على سائر جسدى ، مدغدغًا مشاعرى ، منعشًا ذاكرتى بما فعله بي نديم بحجرة القياس ، عندما شعرت بجسده يلتصق بي وطلوق بيده خصرى ارتعشت ، لحظة احتواء صدره كامل جسدى حبست أنفاسى وعند احساسى بصلاية شهوته تسحق مؤخرتى ، أغمضت عينيّ نشوى ، ولما بدأت يده تضغط على نهدى دمعت عيناى لذة ، أخذت أضغ فخذائى شاعرة بالانتشاء ، لكن عندما بدأ كفه يغادر نهدى ويهبط إلى دلتاى عندها استشطت غضبًا ، أحسست بأننى أقهر بأننى أحتل تطونى أقدام غاشمة ، لا أعرف لماذا صفعته ؟

فى غيابه عنى لمدة ثلاثة أيام امتلكتنى الكآبة ، شعرت بأننى بلا روح ، أختفى تالؤ عينيّ ، نزع من صوتى نبرة البهجة التى تكسوه.  
واليوم عندما جلست أمامه ، كنت أهرب بنظراتى بعيداً عن عينيه  
الواثقة المشعة بفرحة الانتصار بعودتى لا أنكر زهقة آلاف الطيور  
التى كانت تغرد بداخلى وأنا أرى ابتسامته ونظرته الشقية قد عادت  
تحديق فى بشهوانية ، أخذت أنا الأخرى أحديق فيه بجرأة وأتلدذ لسماع  
صوته الذى يحمل أطناناً من مشاعر الحب والرغبة معاً.

آه يا ربى لم كل هذا الاهتمام به ، إتنى قبل أن أقابله أتوه أمام  
خزانة ملابسى أرتدى وأغير يرهقنى التردد أمام عطورى أنهم أنثه  
على كامل جسدى ، هل أكسو شفتى بلون نارى أم هادى ، هل أرفع  
شعري أم أتركه منسدلاً ، لا إنها أمور عادية دائماً تشغل أى امرأة ،  
إتنى أحبه كصديق ، نعم كصديق ، فأنا أحب زوجته أيضاً وكثيراً  
ما أشجعه على تدليلها ومداعبتها ، لم أغار أيداً منها.

كفى كذباً ، كفى فأنا أحبه فعلاً وأغار عليه من أى شىء  
يلامسه ، يعصف بى الألم عندما يحكى لى عن غرامياته المتعددة ،  
آه نديم لقد قاومت كثيراً ، ولعنك تداح كمياه المحيط تغمرنى ،  
تحتل أشيائى ، ذكرياتى لم أعد أملك المقاومة ، لم أعد أملك إلا أن  
أحبك ، أركض إليك كل ثانية بقدر ما أتوق إلى الهرب منك ، آه يا  
ربى أعنى على هذا الجنون. ألفت جسدى بمنشفة ، أخرج من الحمام ،  
أجد نجاد يخلع ملابسسه ، أقابله بفتور يقترب منى ، يحاول ملامستى ،  
أنفر منه ، يصيح فى:

— ماذا دهالك؟

— ألا تعلم ماذا فعلت؟

أجلب من حقيبة يدي مظروفاً وأناوله إياه قائلة :

— أين ذهبت نقودنا ؟ أين ذهبت مدخرات أولادنا ؟ إن كشف

الحساب يقول أن رصيدنا صفر.

— لقد سحبت النقود للدخول في مشروع .

— أى مشروع؟ لعب القمار ، أنت ستدمر هذه العائلة ، ستضيعنا .

صرخ في وجهي :

— إخرسى يا عاهرة.

وفى لحظة خاطفة تناول إحدى التحف من على الكومود وقذفها فى

اتجاه رأسى ، تفاديتها بأعجوبة ، أقف مذهولة من تصرفه ، أصبح فيه :

— أنت مجنون .. مجنون .

يقرب منى مستعظماً :

أرجوك ميتاب ، أنا لا أقصد ، أنت أستفزيتنى ، سأرجع النقود

وسأعوض خسارتى .

يحتضنى مجهشاً فى البكاء ، بينما أنا أقف غارقة فى ذهولى ،

ربما من تطور انفعالاته وتصرفاته معى التى تجاوزت النسب إلى مد اليد

أو ربما من إنتيابه بهذا الشكل الذى لم أره من قبل ، لا أعرف ما على

أن أفعله هل أنهره وأزجره أم أريت على كتفه مواسية.

\*\*\*\*\*

تلقت نديم حوله محددًا ، اطمأن على وجود علا فى المطبخ ، أخذ

يتأمل الصورة الظاهرة على شاشة الـ Laptop ، أريكة من غاب البامبو

بنية اللون أحيطت جوانبها بتكايا ملونة ، استلقت ميتاب عليها بقميص

نوم وردى طرز حوافه بالدانتيل ، ينساب شعرها مرسلاً فى لون الليل ،

ووجهها الفاتن المشرق ينير الصورة تستند بذراعها وراء رأسها ، وذراعها الآخر ينام بفتنة على فخذها ، بينما يلتف ساقاها العاريتان بدلال على بعضهما . يحيلنى طلاء أظافر قدميها الأحمر إلى فيتشى مهووس بجمال قدميها الرقيقتين ، ابتسمت عندما قرأت تعليقها

”ها قد أوفيت بوعدى ، أليست جديدة بانتشر فى مجلتك ، أريد معرفة رأيك . إلى اللقاء نديم“ معها كل الحق فالصورة كأنها لوحة زيتية تنتمى إلى مدرسة الأورينتال من القرن التاسع عشر .

أطلقت علا صرخة مدوية ، بطريقة آلية ، أطبق الـ Laptop ، نحاه جانباً ، وقام مسرعاً يستجلى صراخ علا ، دخل المطبخ وجدها تقف فى بركة من الدقيق المنثور حولها ، بادرتة :

– كل شىء يعاكسنى اليوم ، لا بأس سأعتنى أنا بالوضع ، لكن أرجوك نديم أسرع لتأتى بالأولاد من التدريب لأنه قارب على الانتهاء.

تناول نديم مفاتيح سيارته وخرج مسرعاً ، بينما أخذت علا تظف المطبخ ثم خرجت ترتب غرفة المعيشة لفت انتباهها النور الأحمر المنبعث من الـ Laptop نديم وهى علامة احتياجه للشحن ، اقتربت من الجهاز وجدته موارباً رفعت شاشته أحلتها صورة لإمرأة جميلة مستلقية على أريكة ، قرأت الكلمات المزيلة الصورة ، انقبض قلبها ، جثت على ركبتيها ، حازتها ، تمعنت فى الصورة من جديد. تمتمت إنها صارخة الجمال ، قرأت عنوان المرسل ، تدعى ميتى أو ربما هو اختصار لإسمها ، بدأت تعيد قراءة ما خط أسفل الصورة بروية ، هذه الصورة إفاء بوعد ، تريد رأيه ، كتبت اسمه أى يعرفها ، والى اللقاء أى إنه يراها شكوكى فى محلها إنه يعرف أخرى ، تنهمر دموع عينيها ،

تمسح دموعها، تجر ساقها إلى حجرة نومها تقف أمام المرآة،  
بمريئة المطبخ وشعرها المهوش، أخذت تتحسس جسدها، ثمة دهون  
متخفية فى أنحاء كثيرة منه ربما وجهى مازال يحتفظ بنضارته .  
تنظر إلى شعرها تتألم عندما تلاحظ بذوره البيضاء التى تنتشر على  
حدود فروته، إحدى جينات أبى، أحياناً تأتينا الجينات بما لا نحب  
ممن نحب، تجلس على حافة الفراش الآن أعرف لماذا لا يفرق معي ما  
صار إليه شكلي، لأن لديه البديل، وأى بديل إنها ملكة جمال أما أنا  
فقد تخلت عن كل شيء، طموحاتي، أحلامي، جمالي، من أجل حبي  
وهاهو يتبخر من بين يديّ .

كيف أتصرف، هل أواجهه سيكون لديه مائة سبب للإنكار،  
أخبر جومانة، أستأنس برأيها فهي صديقتي الوحيدة هنا، بل هي ما  
بقي من عائلتي بعد سفر أختي بعيداً، أعني يا ربي . وضعت رأسها بين  
كفيها وأخذت تكي بحرقه .

\*\*\*\*\*

( ٦ )

المتحف المائي الوطني **National Aquarium** ، أو حوض السمك كما يطلق عليه الأمريكيان ، يقع في الطابق الأرضي من مبنى هيربرت سى هوفر ، مقر وزارة التجارة ، وينسب المبنى للرئيس الحادى والثلاثين للبلاد ، ربما لأنه شغل منصب وزير التجارة من قبل ، والمبنى يقع بالقرب من البيت الأبيض . وحوض السمك ، حوض زجاجى عملاق يحتوى على أكثر من مائتين وخمسين نوعاً من الأسماك والبرمائيات من أشهرها أسماك القرش والأنقليس الكهربائى والأخطبوط العملاق وأسماك النيرانيه وفرس النهر والتمساح الأمريكى وتبلغ الجولة حوله خمساً وأربعين دقيقة ، ولقد أنشئ عام ١٩٣٢ .

أخذ نديم يبحث داخل أروقة الحوض عن ميتاب ، لا يعينه فى ذلك الضوء الخافت ، وجدها أخيراً تقف تراقب أسماك القرش ، أضواء الحوض تتعكس على جسدها لتجسمه وتبرز مفاته .

اقتربت منها بهدوء ، وبصوت خاطف:

— احذرى -

قلتها وأحتضنتها من الخلف ، أطلقت صرخة مكتومة ، التفتت لى:

— أنت مجنون ، لقد أخفتنى .

— ألا ترين أن القرش فى حالة هياج من جسدك الفائر ، إنه على

وشك اختراق الزجاج والتهامك .

– أنت مهرج .

كان صوتها يشوبه سحابة حزن وعيناها تكسوهما نظرة أسي .

– ماذا بك؟

أخبرتني بما حدث من زوجها ، وأنها تفادت فائزة خزفية كادت أن تصيب وجهها بعاهة مستديمة ، وهي تواجهه بضياح نقودهم في لعب القمار ، وأنه انهار واعتذر لها . انفعلت عليها ناصحًا بأنها كان يجب أن تتخذ موقفًا حاسمًا ، قالت :

– ماذا كنت تريد أن أبلغ البوليس ليقبضوا عليه أمام أولاده ،

أتريدني أن أهدم أسرتي؟

أوضحت لها أنني أريدها أن تجابه مشاكلها بشجاعة ، إنها بالأمس تفادت فائزة ربما اليوم أو غدًا ينجح في إصابتها أو قتلها عندها ستهدم أسرتها ، أفهمتها إن ما أريده منها أن تستمر في مواجهته بأفعاله حتى يرتدع لا تجعله يشعر بأنه نجح في إرهابك . أخذت تراقب سمك القرش وهو يسبح بتؤده ، خفضت من حدة حديثي قائلاً :

– أتحيين سمك القرش؟

– نعم أحب فيه القوة ، ترى كيف يسبح في المياه بثقة بلا خوف .

– ميتاب ليس هناك كائن على وجه الخليقة لا يخاف ، فالخوف

غريزة زرعاها الله في مخلوقاته ليحد من نوازعها الجامحة ، لكن

يجب أن نعترف بأن القرش مخلوق فريد من نوعه ، فمثلاً هو لا

ينام ولا يمرض .

استدارت لمواجهتي قائلة باستغراب :

– لا ينام أعرضا ، لكن كيف لا يمرض؟

— إنه يفرز من جسمه مضادات حيوية طبيعية تحافظ على سلامته.

استغلّيت خلو المكان من حولنا ورجعت خطوة للخلف بسرعة  
راسماً على وجهي علامات الفرع صائحاً فيها

— احذري انه قادم .

هذه المرة أطلقت صرخة مدوية وارتجت على أثرها بين ذراعي،  
كان جسدها ساخنًا برغم برودة الجو أطبقت عليها بذراعي .

بصوت متهدج ممزوج باستطابة ما يحدث قالت:

— نديم ماذا تفعل؟

نظرت في عينيها العسليتين ، كانتا تعبران عما يجيش في وجدانها  
فالعين فاضحة ، فهي العضو الوحيد في الانسان الخارج عن سيطرته ،  
حدقتا عينيها تتسعان ، تحدقان بنهم في شفتي ، ألمح ارتعاشة خفيفة في  
شفتيها تتاديني بأن أقبلها ، اقتربت شفتي تبحث عن ملاذها ، لامست  
شفتيها ، كان لهما طعم الكراميل عثت فيهما فوضوية مستمتعاً بشهد  
رضابها ، شعرت أنها تقبلني بروحها ووجدانها . لحظتها دعيت من قلبي  
لهذا العبقرى الذى اخترع القبلة فقد قدم للإنسانية أروع السلوكيات  
العاطفية ، فتقبيل الشفاه لفترة غير قصيرة بشكل ناعم ولمس أطراف  
الفم باللسان ، ثم تتدرج القبلة بالتهام الشفاه ومداعبة اللسان ، إنه فعل  
يذيب المسافات ويظهر الحب الجارف والعاطفة الجياشة بين المحبين .

وضعت كفيها على صدري ، ودفعتنى إلى الخلف قائلة بصوت  
مصبورغ بالهيام:

— أنت لا فائدة منك ، ماذا تريد أن أقطع علاقتي بك؟

قالتها وسارت مبتعدة ، حاولت اللحاق بها ، أشارت لى بيدها قائلة:

— أرجوك اتركنى لوحدى الآن .

وقفت أرقبها وهي تتبعد ، كان خطوها متعثرًا ، فما زالت تحت تأثير خدر القبلة ، فالنساء تعتبر القبلة معاشرة كاملة فمنهن من تستمتع بها أكثر من الجماع .

\*\*\*\*\*

ربما النمساة كلها لا تتعدى الشك منك كالعادة .

هكذا بادرتنى جومانة لتهدىء من انفعالى ، لكنى أخبرتها بأننى كنت أشك قبل رؤيتى الصورة أما الآن أنا موقنة تمامًا من أن هناك أخرى فى حياته ، تهدج صوتى من أثر بكائى .

هدأت من سرعة السيارة وهي تقول :

\_ لهذا نم أجعلك تمكثين فى المنزل وأصريت أن نخرج .

أوقفت السيارة فى Park محل Macy's قائلة :

\_ هيا إلى التسوق واحكى لى عما يشقيك يا عمري .

نظرت لها فى مودة وحب فهى بالرغم مما يعترىها من حزن وألم من علاقتها بجان إلا أنها تسير بجوارى ممشوقة القوام يتبارى نهدها المشربب فى شق طريقها مبدية سعادة زائفة لتخفف من معاناتى ، هبت ريح طار معها ديل فستانها القصير كاشفًا عن فخذيها ، تلصصت العيون ، ارتعشت أهدابها ثم تراخت فى خجل وهي تهبط ذيل فستانها بيديها ، قلت لها ، لو أفصحت عيون الرجال لجردتنا من ثيابنا ، إن هؤلاء الخبثاء لا ينظرون إلى شكل شعورنا أو سحر عيوننا أو جمال رموشنا ، بل ما يلفت انتباههم بشدة تلك المناطق المثيرة من أجسادنا خاصة ما يظهر منها على غرة .

\_ أنت متحاملة عليهم جدًا .

جر كل منا عرية لشراء احتياجاتنا المنزلية ، أخذنا نتمشى بين

الأرفف الحبلى بالبضائع .

\_ علا ، ما قرأتك على أن هناك أخرى فى حياة نديم؟

زادت عصبيتى وأنا أخبرها بأن الحكى بيننا أصبح قليلاً ، الخروج  
معا أصبح نادراً ، اهتمامه بنفسه رياضياً وقوفه أمام المرأة للتأق أشياء  
جديدة عليه ، اعتراضه على روتينيات الحياة ، فهو لا يريد أى التزام أو  
قيد يريد أن يكون حراً طليقاً طوال الوقت ، أنت تعلمين بأن الجنس مع  
العشرة يصبح أجمل لأنها تولد المعرفة والانسجام وتفتح أبواباً من اللذة  
والممتعة اللانهائية ، كل هذا تلاشى بيننا ، العلاقة أصبحت واجباً يؤديه  
بدون مشاعر ، ألا يكفيك ذلك كله ليؤكد ظهور نجم آخر يلف حوله  
هذا الكوكب المدعو نديم ، أنت لم ترى الصورة إنها ملكة جمال .  
تعلمين اننى أفكر جدياً فى استئجار تحرى خاص ليراقبه .

\_ ما هذا الجنون ، وبافتراض تأكدك من خيانتة ، هل ستستسلمين

للأمر الواقع وتتركينه لفيرك بهذه البساطة؟

بصوت ملهوف لمعرفة الطريق والملاذ قلت:

\_ وماذا عساي أن أفعل؟

يجب أن تحارى من أجل بقاء أسرتك .

وبشوق من يبحث عن طوق نجاه قلت:

\_ كيف؟

\_ أولاً يجب أن تعتنى بمظهرك وجمالك أكثر من ذلك ، بل يجب أن

تشعرى أنت بأنوثتك قبله .

أشارت بيدها ناحية فاترينات التزين مسترسلة:

\_ هيا أرينى كيف تزين المرأة الشرقية .

اقتربت من الفاترينات ، كانت تعج بعشرات الأنواع من أدوات الزينة ، أشعر بأننى مجرد ربة منزل ساذجة لا تجيد غير غسل الأواني ، وكى الملابس ، ترتيب الأثاث وطهى الطعام . بيد مرتعشة حررت شعري المعقوص ، تناولت قلم الكحل مسحت به على نهايات عيني ، مررت بفرشاة البودرة على وجنتي ، عقصت رموشى بالمسكرة ، أحلت شفتي إلى بوتقة نار ملتهبة بأحمر الشفاه ، أمسكت طلاء الأظافر ومنديلاً ورقياً وأخذت ألون أظافري بالأحمر القانى ، استدرت لجومانة ، صاحت :

— هكذا تكون الأسطورة .

أحكمت حول خصري البلوفر ، وسرت أتمايل أمامها وأنا أفكر فى شكل تدويرة مؤخرتى هل تتراقص بما يكفى ؟ جاءتني الإجابة من أعين الرجال المستمتعة بالمشهد ، اكتسى صوتى بنبرة حزينة وأنا أقول لها :

— ليعلم نديم أن من السهل إثارة الرجال

أردت أن أثبت لنفسى أننى مازلت مشتهاه ، يمكننى أن أغوى أى رجل فى أى وقت ، دمعت عيناى ، أخذت أبكى بحرقة ، كلما تذكرت صورة تلك المرأة ، حللت البلوفر من حول خصرى ، هدأت جومانة من روعى كفكفت دموعى بيديها ، نظرت فى عيني قائلة بصوت حنون :  
— ماذا بك ؟ لا تكونى ضعيفة هكذا ، أنا معك لا تخشى شيئاً ، الخطوة الثانية أننا سنذهب إلى جمعية المرأة والأسرة ، لقد أفادتني فى حالتى مع جان وسوف تقيدك أنت أيضاً فى حالتك .

\*\*\*\*\*

جلست ميتاب فى عملها ، أمامها شاشة الـ Laptop ، تتراقص

كلمات نديم أمام عينيها ، تبسم وهي تعيد قراءتها .

"ترسل نبضات قلبي اشارات ضوئية ، لو أجليت شفرتها ستكتشفين إنها كلمة واحدة يرددها قلبي دون هوادة (أحبك) نعم أحبك ، لا تتجاهلى الحقيقة فأنت أيضاً تحبينى بل تمنينى ، لا تنكرى فعيونك تضحك"

"ملحوظة : لن أعتذر عن القبلة فهي أمنية كانت غالية تحققت وأرجو أن تكون الباب للولوج إلى مكافأة أكبر فهم يقولون إن القبلة إقناع علوى لغزو سفلى وشيك"

ماذا تريد منى نديم ، أتحنى حقاً ، أم تريد رفع رايتك فوق جسدى وتضمنى إلى باقتك ، لأصير مجرد محظية من ضمن محظياتك ، أقر بأننى أردت القبلة بل سعيت إليها ، كان بداخلى ثورة ضد نجاد ، كنت أريد أن أنتقم منه ، فأنا من اخترت المتحف المائى لأروقته المظلمة ويوم الأربعاء موعداً للقائنا لأنه أقل الأيام ازدحاماً به ، فهو المكان المثالى الذى يتمناه نديم للتحرش بى ، بل أعترف بأننى من شجعتة بنظراتى الموحية ، ولا أنكر أننى استسلمت له لعدة ثوان مستمتعة بشفتيه المشبعتين ولهيب شهوته الحارقة وعندما أبعده عنى مظهره غضباً زائفاً تمنيت أن يقاومنى ويضمنى عنوة ويستمر فى تقبيلى إلى الأبد ، اشتقت التدليل ، لمن يعاملنى كأنشى مرغوب فيها ، من يفجر طاقاتى الرومانسية ، اشتقت سماع كلمات الحب التى تطرب قلبى تمنيتها أن تجرى على لسان نجاد ، لكنه يزداد سوءاً مع الأيام ، يعاملنى كفتاة ليل رخيصة ، كم أتمنى أن يلعب دور باقة تحمل زهوراً ذات رائحة طيبة أو يلعب دور حجر مصمت لا ينطق لطوال العمر .

\*\*\*\*\*

– يا يسوع، لقد سئمت الكتابة عن تلك الأقليات .

هكذا بدأت جانبتي في استفزازي كالعادة وهي تلقى بملف موضوع الصحافة العربية في أمريكا على مكتبها بعجرفة رددت عليها بصوت يشوبه الغيظ:

– يا عزيزتي جانبتي إن أمريكا من نتاج جهد مشترك لمجموعة من الأقليات التي تكون سكانها، فلا يوجد أحد يدعى أنه أمريكي أكثر من الآخر، الكل يعلم أن عملية نقل الدم المستمرة لهذا المجتمع بالكفاءات والمقليات وهي السر وراء قوته.

– أتريد أن تساوي بينكم وأنتم نسبة لا تتعدى الواحد في المائة من السكان بنا نحن التي تتعدى نسبتنا أكثر من عشرين بالمائة من السكان .

– أنت تعلمين جانبتي إن الأمريكيان الأفارقة لا يتعدى نسبتهم الثلاث عشرة في المائة ثم أنت لم تقرئي كتاب صامويل هنجتون الأخير **Who We Are** إنه يحذر من الخطر الذي تتعرض له الهوية الثقافية الأمريكية التي تشكلت على مدى ثلاثة قرون وجوهرها الأنجلو بروتستانتى من القوة المتعاضمة للأمريكيين اللاتيين حيث تبلغ نسبتهم من السكان ست عشرة بالمائة أى أكثر منكم.

قامت منتفضة من وراء مكتبها بانفعال، لتظهر مؤخرتها المتألمة فى التايير الأبيض تذكرت اهتزازاتها وهى ترقص لى عارية، وقفت أمامى وصاحت فى وجهى بصوت حائق أعادنى من تخيلاتى الحمراء:

– هؤلاء مجرد فارين من بلادهم يبحثون عن فرصة لتحسين أوضاعهم فى أرض الأحلام، أما نحن فأصل من أصول هذه

البلاد فنحن من الهجرات التي شكلت الشخصية الأمريكية.  
— يا عزيزتى الهجرة الأفريقية ليست هجرة بالمعنى المفهوم بقدر ما  
هى استعباد حيث جلبوا بالقوة مكبلين بالسلاسل محشورين فى  
قاع السفن، مجردين من آدميتهم ليصيروا عبيداً فى حقول القطن  
والتبغ أو كآلات عمل بالسياط قبل ظهور آلات العمل بالبخار.  
هؤلاء من شاركوا فى صنع هذه الحضارة .

— أقر بذلك وأبجلهم ولكن ما لا أقره أنك تتكرين دور باقى  
الأقليات التى شاركت فى بناء حضارة هذا البلد وما لا أقبه  
كل هذا الصلف والغرور الذى تتعاملين به، مع أن أمثالك جانبية  
يجب أن يشكر تاجر العبيد الذى جلب جدك الاكبر من غابات  
أفريقيا إلى هنا.

قلت هذا وقمزت خارجاً من مكتبها بسرعة فائقة، سامعاً صوتها  
من ورائى تسب وتلعن.

\*\*\*\*\*

أرصفة المترو تمتد نظيفة منارة، متجاوزة بلا نهاية، عريضة  
مزدحمة، كل عدة دقائق يأتى مترو، يحتل القضبان فى مهابة، صوت  
دقاته يصطفيق بداخلى، دائماً يذكرنى بعلا وارتياحها الذى أراه فى  
عينها وفى صوتها التهكمى، دائماً أتساءل من أين لديها كل هذا  
الشك الذى يطفح يقيناً من تصرفاتها؟، فأنا حريص فى أفعالى غير  
مقصر فى واجباتى نحوها، هل هو حدس المرأة الفطرى أم كما تقول  
هى دائماً بأن لديها شفافية لاستشراف ما سيحدث .

ظهرت ميتاب آتية تتألق فى تايير كحلى اللون، الكعب العالى  
يجعلها تتراقص فى دلال، شعرها يههف فى حريرية محيطاً بوجهها

المشرق، بدون مقدمات، أخذتها بين ذراعي طابعًا قبله خاطفة على شفيتها المنيرتين أبعدتني بخجل متلفته حولها:

— ماذا تفعل؟ أنت مجنون .

وصل المترو الذي ننتظره، صعدنا مع الركاب، ونزل آخرون بدون ضوضاء، جلسنا في مقعد خالٍ قبالة بعضنا، نظرت من حولي، أحاديث جانبية خافتة، هناك من يقرأ في كتاب وآخر جريدة ويجوارنا جلس عاشقان منهمكان في تبادل القبالات الساخنة، نظرت لميتاب وجدتها تنظر لهما، أحست بي، أدارت وجهها مسرعة وهي تزفر في زهق قائلة:

— هل طعام الجسد هو دائمًا ما يريده الرجل من المرأة؟

— إن رحم المرأة هو بوتقة صنع الإنسان، يخرج منه الرجل ولا يشغله غير التفكير في كيفية العودة إليه واحتلاله .

— لماذا تفكر دائمًا في الجنس؟ فالحب شيء والجنس شيء آخر.

نظرت إليها في شبق قائلاً بصوت خافت:

— الجنس هو أعلى مراتب الحب إنه منتهاه في صورة تحريرية .

— لماذا يعتقد الرجل أنه بلغ غايته عندما ينال المرأة؟ بينما المرأة تفكر بطريقة أكثر رقيقاً، أنها تبلغ غايتها من الرجل عندما تشعر بأنه يقدر ما تقدمه له .

— ميتاب المرأة تتعلم الحياة وهي مستلقية بين أحضان الرجل .

آه نديم، اسمي بين شفتيك له طعم آخر، الكلمات تخرج من فمك تفوح منها رائحة الشهوة، نظراتك تنم عن مدى شبقك، ما يرتسم على وجهك يعلن انتصابك بل استعدادك للانقضاض على، تلفت حولي، المكان مهياً فقد خلا من حولنا، ماذا أفعل؟ ألهمني تفكيري بأن أضع يدي على جبينى متأوهة، تساءل، أخبرته وأنا راسمة الأسي على

قسمات وجهي، بأنني أشعر بصداع رهيب، سارع بالانتقال بجواري،  
أخذ يدلك لي جبهتي بكفيه برفق أحالني فيضان حنانه ولهفته علي،  
إني التحاف السماء، مرفرفة وسط صحبة طيور مفردة، يحيطنا قوس  
هزح كوشاح وضاء بألوانه الزاهية المبهجة. كما سعدت بأنني نجحت  
بأن أنسيه هياجه وتأهبه لمهاجمتي".

\*\*\*\*\*

استهل خوسيه كلامه معي بتوبيخي لما يجري بيني وبين جانيت،  
أخبرته بأنها دائمة استفزازي وأنتي اضطرر إلى الرد بما يستفزها، كان  
خوسيه يتابع نشرة الأخبار على قناة CNN التي كانت تنقل أحوال قوات  
المارينز في العراق، أطلق سحابة دخان كثيف من فمه وقال بحزن:

— إلى متى نضحى بأولادنا من أجل حفنة براميل من النفط .

نظرت له نظرة ذات مغزى قائلاً:

— بل قل شعب على شفا الانهيار وحضارة نهبت ودولة تفتت من أجل  
حفنة آبار من البترول، بالله عليك خوسيه أين دور المفكرين  
والمثقفين في التأثير على السياسات الخارجية لأمريكا .

— نحن في بلاد تعتنق اللاثقافة فهم لا يهتمون بماذا تعرف بقدر ما  
يهتمون بما عملت، لذا فنجد أن المثقف هنا لا يحظى بالتقدير  
الذي يحظى به في دول أقل تقدماً من أمريكا .

— لكن خوسيه هذه البلاد تعيش حالة من الانقسام في سياستها  
الخارجية حيث أنها تدعى بأنه آلهة الديمقراطية في الكون وفي  
نفس الوقت تجدها تتحالف مع معظم ديكتاتوريات العالم.

تههد خوسيه ساحباً نفساً عميقاً من غليونه ثم قال بصوته الهاديء:

— يا صديقي نديم يجب أن تفهم العقلية الأمريكية وستجد أن هذا

ممكّن ، فالفكر البراجماتى الذى يمتنقه المجتمع الأمريكى لا يؤمن إلا بالرجل العملى وليس النظرى فهو لديه حماسه لكل ما هو مادى ملموس ، ربما النيئة أيضاً ساعدت على ذلك حيث إنها كانت تتطلب رجالاً يستطيعون صنع الأشياء من تطهير الغابات ومد الطرق وبناء المدن فالرجال الذين يثيرون إعجاب الأمريكان ، ليسوا أصحاب النظريات والفلاسفة بل هم من يحيلون الأفكار إلى واقع مثل فورد وأديسون .

والبراجماتية نديم ترتبط بفكرة المصلحة فالأمريكى لا يهتم إلا بما يمثل له مصلحته فنجده يصادق ويعادى ويشارك من له معه مصلحة دونما اعتبار لاختلافه معه فى المثل والقيم الأخلاقية ، فأمريكا على استعداد دائم لحماية نظم ديكتاتورية كما تقول كما فى أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط لأن لها مصالح معها على الرغم من إدعائها بأنها تحمى وتشجع على حقوق الإنسان والديموقراطية فى العالم وهى على استعداد لشن حروب تجارية مع أصدقاء لها من أجل مصلحتها مثل اليابان بالرغم من إدعائها تشجيع حرية التجارة ، بل أنها فى بعض الأوقات يمكن أن تضحى بأولادها من أجل تحقيق مآربها مثل ما حدث فى كوريا وفيتنام وأفغانستان وكما ترى أمامك الآن على شاشة التلفاز فى العراق.

— لكن هناك المنظرون لهذه الفلسفة البراجماتية ممن يجدونها نبراساً للحياة الناجحة التى تحقق الرفاهية للإنسان .

لكنهم لا يذكرون سلبياتها ، مثل التعامل بدون عاطفة والبحث عن المنفعة بطرق ميكيفيلية وأغفال التراث الحضارى والمعايير الروحية مما يؤدى بالسلب فى بناء شخصية الإنسان وترى أن نجاح الفرد هو أساس الأخلاق وليس تراكم التراث الثقافى الإنسانى فهى تشجع طوال الوقت على التفوق الفردى دون تحقيق أى قيمة من القيم

الفاضلة كالحق والعدل مما يتفشى في المجتمع اللاأخلاقية بل تحيله إلى غابة من الوحوش يأكل بعضها البعض .

صمت فجأة ونظر لي قائلاً:

— كانوا يقولون قديماً أن انسان في العشرينيات من عمره وليس يسارياً هو انسان بلا قلب وانسان في الأربعينيات من عمره ولايزال يسارياً فهو انسان بلا عقل وأنا أقول نديم إن انساناً في الخمسينيات من عمره ولايزال براجمائياً هو انسان نزعته منه إنسانيته.

قالها وأشعل غليونه من جديد وأخذ يدخن وينظر متابعاً نشرة الأخبار في صمت.

\*\*\*\*\*

أشكال الأشجار العارية في الشتاء تثيرني كأنهن فائتات تجردن من ثيابهن ويقفن عارضات أجسادهن على المارة ، أتخيل ميتاب تقف بينهن تناديني ، تسرع خطاى للإقتراب يتلاشى خيالها ، أستفيق من أوهامى أقترب من مبنى المجلة ، يعلن الـ **Blackberry** عن قدوم رسالة ، أدلف من باب المبنى ، أسرع إلى المصعد دهاليز المجلة لها رائحة القرنفل هذا يدل على وجود خوسيه في المجلة ، أدخل مكتبي أسارع بفتح الإيميل كانت رسالة من ميتاب ، ظهرت صورة لفتاه صارخة الجمال ، تقف عارية نظرة دلال تكتسى وجهها ، يداها في وسطها تعلنان ثقته بجمالها ، أسفل الصورة خطت ميتاب عدة كلمات .

"كم تشبهني هذه الفتاة عندما رأيتني عارية في حجرة قياس الملابس" دق قلبي رغبة وانتفضت شهوتي من سباتها وأنا أقرأ حروف الكلمات نظرت للصورة بإمعان ، وتيقنت أن عيون ميتاب أنهار غسل ، وشعرها بساتين الفردوس وجسدها الحور العين ، إنها أفنتن من الصورة

بالآف النساء، أشعلت الرسالة نيران رغبتى فيها ، كم قاومت هذه الرغبة وغللتها داخلي ، لكن عندما سمحت لى بتقبيلها فى حوض السمك أرخت أغلالى واليوم بهذه الرسالة حطمتها بأسرها ، إنها فتحت الباب على مصراعيه للتمتع بلذاتها وامتصاص رحيقها وقطف ثمرتها الشهية.

سارعت بالرد على الرسالة :

"كيف تشبهين جدولاً صغيراً بنهر عظيم ، كيف تشبهين نبتة بالفردوس ، أنت لا تعرفين قدر نفسك ، ففك أختزل الله كل نساء العالم"

لكن الآن من يطفىء شهوتى المستعرة ، ابتسمت وأنا أتذكر أن اايوم الإثنين لقاء جيسىكا .

\*\*\*\*\*

استكان الفراش بعدما أرهقناه بأوضاع عهرنا الفاضح ، استندت جيسى بجسدها على ظهر الفراش ، تناولت من على الكومود عليه السجائر ، أشعلت واحدة ، أخذت نفساً عميقاً ، لفظت سحابة من اندخان ، ارتسمت على وجهها ابتسامة صافية قائلة:

– تعرف نديم لماذا أحب أن أنام عارية فى الفراش؟ لأنه يذكرنى بدفء وحنان رحم الأم .

– أفهم من ذلك أنك تعانين من نقص حنان الأم .

ماتت أمى وأنا صغيرة جداً ، ورفض أبى الزواج ثانية حتى لا يأتى لنا بزوجة أب .

– لماذا جيسى لا تحبين وتتزوجين؟

– أتزوج ليصير لزوجى بعد عام أو اثنين صديقة مثلك . عزيزى أنا أفضل أن أكون الصائد لا الفريسة على الأقل الصديقة يمكنها

أن تختار بعناية صديقها ولديها الحرية فى إنهاء العلاقة ببساطة إذا أصاب العلاقة الملل مثلاً .

— وهل ستملنى جيسى؟

مالت على وطبعت قبلة على شفتى:

— أنت لا تمل نديم ، لكن أخبرنى بصدق لماذا تخون زوجتك على الرغم من أنها مثيرة وجذابة لقد رأيتها فى عدة صور معك .

قامت من جانبها وجلست على فوتيه أمامها ، نظرت إليها قائلاً:

— الملل كما قلت جيسى هو ما جعلنى أعرفك ، إننى كنت أرجع

السبب إلى الأحادية وأن امرأة واحدة لا تكفى ، لكن ما تبينته

أن السبب الحقيقى هو أن يصير الحب غطرسة من المحب نتيجة

الأنايية المقرطة فيتحول الحبيب إلى سجين فى زنزانة ضيقة

على الرغم من أنها وردية ، فأسوأ شىء فى المحب أن يتحول إلى

صوت الوصى على تصرفات الحبيب ثم يصبغ بصوت الأم الناقدة

طوال الوقت ، ثم يصير الصوت فى النهاية إلى متلصص يراقب

تحركاتك وهذه بداية السقوط فى الملل والهروب إلى أخرى .

لكنك جيسى لم تجيبينى على سؤالى لماذا لا تحبين؟

— عزيزى نديم الحب شىء غامض ينتمى لعالم الميتافيزيقا ، أنا

أفضل عليه الشهوة فهى شىء ملموس أحسه وأعيشه ، عالم ملء

بالبهجة واللذة يجعلنى أشع نوراً .

قالتها وهبطت بجسدها إلى حافة الفراش ليزداد انبثاق نهدها

الشهى من وراء الثوب ، ابتسامتها اللعوب فخذها العارى ، جعلوا

شهوتى تستعر من جديد ، قامت متقضاً عليها ، ليستغيث الفراش من

معاودة إرهاقه مجدداً .

تداول نديم قلمه ، ارتكن بساعديه على أطراف مكتبه ، وبدأ  
يخط على الورق الأبيض :

"يعرى جبران مشاعره ويبدر مكنونها فى عدة رسائل لأصدقائه  
فيقول: كلما أغمضت عينى عن هذا المحيط إلا رأيت الأودية المملوءة  
سحرًا وهيبة ، وتلك الجبال المتعالية بالمجد والعظمة ، كلما صممت  
أذنى عن ضجة هذه المدينة إلا سمعت خرير تلك السواقي وحفيف تلك  
القصون ، أتمنى أن أرافقك إلى تلك البلاد التى أحب صخورها وأوديتها  
وأكره حكامها وكهانها ، ولكن ما ترسمه الأحلام تمجوه اليقظة  
وما تبنى الأمانى يخفيه العجز."

لكن جبران لا يتوقف عن حلم العودة رغم قسوته على نفسه فيسألها :  
"هل سنرجع يوماً ونجلس بجوار دير مار سركيس بين الصخور والنبات؟  
فأنا ممن يحفظون ذكرى الأشياء ومهما كانت بعيدة ولا يدعون خيالاً  
من خيالاتهم يضمحل فى الضباب ، بل قد يكون احتفاظى بأشباح  
الأيام سبباً لكأبتى وانقباضى ، ولكنى لو خيرت لما أبدلت بأحزان  
قلبي أفراح العالم كله ، فلا بد من الرجوع إلى لبنان ، لا بد من التملص  
من هذه المدينة السائرة على دوالب ، إلا إننى لا أريد أن أترك هذه  
البلاد حتى أقطع الخيوط والسلاسل التى تربطنى بها وما أكثرها ،  
أريد أن أذهب إليك يا لبنان وأبقى ذاهباً"

ياه كم كان جبران نفساً معذبة بفراق وطنه ، كم يشبه الجد

الحفيد ، فكم يشبه جان جبران ، فنفس الحرمان والمعاناة من الوطن والشعور القاتل بالغربة ، إن جبران لم يستطع طوال حياته الفكاك من تلك الخيوط وكسر تلك السلاسل وتلاشى في غريته وحيداً لكنه لم يكف عن الحلم بالعودة لدياره وهو يعد تفكيراً إيجابياً انعكس على حياته خاصة العملية بشيء من الاستقرار والانتاج المثمر.

ليت جان يفكر مثله وتملؤه الرغبة والحلم برؤية وطنه حتى وإن لم يذهب .

يرن الهاتف ، أترك القلم ، أفتح الخط كان جان:

– هاى جان كيف حالك؟

– بخير ، من فضلك نديم أريدك أن تقلنى من كاتدرائية واشنطن بعد نصف ساعة .

نظرت فى ساعة يدي ، ثم قلت:

– تقصد فى موعد الـ **Lunch Time** .

– نعم وسوف نأكل معاً .

– اتفقنا .

أقفلت الخط متسائلاً ماذا يفعل جان فى الكاتدرائية 1999!!

فوجدت بدخول جانيت على مكتبى ، أخبرتنى بعصية أن بعض ملفات موضوع الصحافة العربية قد مسح بالخطأ من على حاسوبها ، هدأت من روعها وطمأنتها بأنى أحتفظ بنسخة من الملفات كاملة على الـ **Laptop** دعوتها للجلوس وبدأت أبحث عن الـ **Folder** الذى أريده ، وكعادتها بدأت فى استفزازى بكلامها المتعالى المتباهى بأمريكيتها وهى تذكرنى بأن الكمبيوتر الذى أستخدمه بين يدي بيسر وسهولة هو من الاختراعات التى قدمتها بلادها للعالم ، وأعقبت

بأن بلادها هي صانعة كل ما يريح الإنسانية في العصر الحديث ،  
فمنذ ظهور الثورة الصناعية ويزوغ الفكر الرأسمالي الليبرالي وتوانت  
الابتكارات الأمريكية لبناء الحضارة الانسانية فبدأ أورليفر إيفانز  
باختراع أول مصنع ميكانيكى لطحن القمح ليفجر ثورة في الصناعة ،  
ثم تخرج ماكينة الخياطة لتندلع ثورة تصنيع الملابس الجاهزة وتظهر  
الآلات الزراعية والتلغراف لصمويل موريس ثم الآلة الكاتبة لتتدفق  
النساء للعمل خارج البيوت ، ليجيء جراهام بل بالتليفون ثم يخترع  
إديسون المصباح الكهربائى ، قاطعتها قاتلاً :

\_ جانبك كما قلت لك من قبل أمريكا ما هي إلا ماكينة ضخمة  
تحتاج إلى كميات هائلة من الوقود لكى تنتج وهذا الوقود  
متمثل في هجرات العقول والأيدى العاملة المفيدة بصورة متتالية  
ومستمرة .

تقاطعنى بحماسة :

\_ ومن يجعل هذه الماكينة تعمل ، من يهيهى لها البيئة الملائمة  
للإنتاج من منهج ونظام ، فمثلاً منذ ظهور كتاب تايلور في  
علم الإدارة عام ١٩١١ حدث انقلاب في إدارة الإنتاج الكبير  
وأستخدمه هنرى فورد في إنتاج أول سيارة رخيصة لاستعمال  
الناس ثم توالى اختراعاتنا لرفاهية الناس حتى وصلت للفموتو ثانية  
والثورة الطبية والتكنولوجية باختراع الحواسيب الشخصية والآلة  
الطابعة التى تطبع عليها هذه الأوراق الان والشبكة العنكبوتية  
وجوجل والفيس بوك الذين أحالوا العالم لقرية صغيرة مترابطة  
الأطراف .

قاطعتها بحنق قاتلاً :

— ولماذا حضرتك لا تذكرين أسلحة الدمار الشامل التي لوثت العالم باللون الأحمر والجانب السلبي الرهيب للتكنولوجيا واثرها على صحة الإنسان وروابطه الأسرية ، لماذا لا تذكرين دفن النفايات النووية والتلوث البيئي ثم من قال لك أن شعوب العالم تريد نسيان ثقافتها وتراثها ويتعلموا ليصيروا شيئاً ماسخاً يدور في فلك القطب الأوحـد وثقافته الصابونية التي لا تبني العقول.

اعتدلت في مقعدها ، أحسست أنها ستنفجر زهواً ثم قالت بحماسة المعهودة:

— ما ذكرته من سلبيات هو ثمن زهيد مقابل التطور والتقدم والرفاهية التي تقدمها للعالم ثم من يرفض أن يدور في فلكنا سوف يتوقف تماماً عن الدوران ويدخل في عصور الظلام والتخلف. عزيزي نديم كما قال الروائي العظيم سكوت فيتزجيرالد أن اكتشاف أمريكا كان آخر مفاجأة للإنسان على هذه الأرض ، كم أنا ممتنة وفخورة كوني أمريكية .

عند هذا الحد وصلت إلى مرحلة من الفيض قاربت على الانفجار فقاطعتها كاظماً غيظي وبصوت ساخر:

— إذن جانيت أنت يجب أن تشكري ربك كثيراً بأن كريستوفر كولومبس لم ترتعد فرائصه مع أول عاصفة قابلته في المحيط وأرتد على عاقبيه بسفينته سانتا ماريا ، لكنت أمريكا حتى الآن يملكها الهنود الحمر وكنت أنت الآن في إفريقيا تطاردين القروء في الغابة.

قلتها وأطلقت ضحكة عالية في وجهها ، انتفضت واقفة من أمامي صائحة في وجهي:

— أنت لست وقع فقط بل أنت همجي متخلف، متى تفيق وترجل  
عن جملك .

نفثت غضبها فى وجهى وخطفت الورق من أمامى، وتركتنى  
وخرجت من المكتب فى حالة غضب جم .

\*\*\*\*\*

كاتدرائية واشنطن الوطنية هى سادس أكبر كاتدرائية فى  
العالم، يعبر بناؤها عن المعمار القوطى البديع يبلغ ارتفاعها ناطحة  
سحاب من ثلاثين طابقاً، تزينها أكثر من مائتى نافذة من الزجاج  
الملون، ويرج للأجراس يحتوى على ثلاثة وخمسين جرساً، وتتسع  
لأكثر من ثلاثة آلاف مصلي.

أوقفت سيارتى أمام الكاتدرائية، منتظراً جان حتى يخرج، مر من  
أمامى جمع ينشد تراتيل دينية، لم أعرف لأى دين ينتمون، فالغريب أن  
فى أمريكا عشرات الأديان والمذاهب، فطبقاً لآخر إحصاء لمجموعة  
برانا للأبحاث فإن البروتستانت بمذاهبهم المتعددة هنا يشكلون  
٦٠٪ من السكان بينما الكاثوليك ٢٧٪ والأرثوذكس الشرقيين ١٪  
واليهود يبلغون ٢٪ والمسلمين مثلهم والأديان الأخرى ٤٪ والملحدين ٢٪  
واللاديين مثلهم .

ولقد كفل الدستور الأمريكى الحرية الدينية، ولهذا كان  
الرؤساء الأمريكيون يتحركون فى الممارسة بين شعب متدين ودستور  
علمانى، فكانوا يظهرون أشكالا من التدين لاحترام الدين فى الحياة  
العامة وإن كانوا علمانيين فى السياسة والحكم .

وهذا ما جعل توماس جيفرسون (الرئيس الثالث للولايات المتحدة  
وأحد واضعى الدستور) يقول إن تعديلنا الأول للدستور يهدف وضع

حادث بين الكنيسة والدولة ، ومن هذا اليوم أخذ هذا الحادث يعلو وينخفض طبقاً لمدى تدين الأمريكيين ومدى علمانية الدولة والسياسة ، ففي السنوات الأخيرة خاصة في حكم الرئيس جورج بوش الابن انخفض الحادث بل تلاشى مع زلة لسانه في أحد خطابه بأن أمريكا بصدد شن حرب مقدسة صليبية على الإسلام ، ربما هو اعتذر عن هذه الهفوة فيما بعد ولكن بعد أن استغلها في الترويج وإعطاء مصداقية لغزوه العراق أمام شعبه من أجل الاستيلاء على ينابيع البترول إرضاء لشركات النفط التي جاءت به رئيساً .

يخرجني جان من مناجاتي بوقوفه أمامي قاتلاً :

\_ أعتذر لك على مجيئك ، فجومانة لديها ميعاد مع طبيبيها .

\_ على الرحب والسعة جان ، ولكن اخبرني هل غيرت مذهبك الديني؟

ضحك وهو يركب بجواري قاتلاً :

\_ إن كنيسةنا بها إصلاحات وكاهننا على علاقة طيبة ببطريك البروتستانت فسمح لنا بأن نقيم القداس هنا .

\_ لكنك ما زلت مارونيًا على الرغم من إنني لا أعرف أصل الكلمة .

يضحك ثانية :

\_ أنا ما زلت يا سيدي مارونيًا ، والكلمة ببساطة تنسب إلى يوحنا مارون الذي انشق عن الكنيسة الكاثوليكية عام ٦٧٧م بسبب اعتقاده بأن للمسيح طبيعتين ومشيتين وعلى أساسه تم تكفير المارون ومطاردتهم حتى استقروا في جبل لبنان وترأسهم بطريك لبنان وظلوا مستقلين بمذهبهم إلى أن أعلنوا ولائهم

لكنييسة روما عام ١١٨٢م مع بقائهم على مذهبهم ، هل فهمت  
الآن ماذا تعنى مارونى .

تبسمت له قائلاً:

— أنا مسرور لك جداً جان أنك بدأت تعود للصلاة فى الكنييسة .

أخبرنى بأنه حدث شىء فوق العقل والمنطق ، حكى لى وحدقتا  
عينيه تتسعان دهشة بأنه رأى رؤية تكررت ثلاث نيال متتالية ، لرجل  
يشبه المسيح ويقف على جانبيه والداه وسط بستان يحيط به أشجار  
الأرز وجبال خضراء ، كانوا يرفعون له أيديهم يدعونه للإقتراب .  
عندما أخبر جومانه بالرؤية فى الليلة الثالثة ، انفجرت فى بكاء  
واستحلفته بالذهاب إلى الكنييسة للصلاة وأنه حان الميعاد لذهابه  
إلى طبيب نفسى ، صمت برهه وقال بصوت متأثر:

— عندها لا أعرف نديم ماذا حدث لى غير أنتى أومأت برأسى  
لها موافقاً دون أن تبس شفطاي بكلمة واحدة ، ومن لحظتها  
وكأنتى ممسوس بتلك الرؤية ، مسير فى أفعالى لها.

نظر لى جان بجدية وحكى لى بأنه كان يخاف من أن يذهب  
للكنييسة لأنها تزيد شعوره بالغربة وتذكره بوطنه بأثاثها وتماثيلها  
وصلبانها ورهبانها بلحاهم ومسوحهم المصنوعة من النسيج الخشن  
ووجوههم وعيونهم الفائرة .

وأن قراره زيارته الطبيب النفسى ، جاء لأكتشافه أنه يريد من  
يجبره على الأمتثال للعلاج . توقف برهه بلع فيها ريقه ثم استرسل بنفس  
الجدية:

— نحن أبناء العالم الثالث بداخلنا جينات الخنوع والخوف من  
السلطة حتى ولو عشنا عمرنا بأكمله فى بلاد بعيدة لهذا قررت

أن أنصاع لنصائحكم وأذهب لطبيب نفسي . لقد سئمت نديم  
آلام الغربة والحنين للوطن ، لقد قاربت على الجنون ، تجلدى  
نظرات جومانه الجبلى بالشفقة على وعليها أشتاق أن أرتقى فى  
أحضانها ثانيةً مستمتعاً بدفتها وحنانها ، أرغب أن أركع على  
تراب الوطن مقبلاً.

\*\*\*\*\*

مشيت علا فى الطريق المختصر المؤدى إلى منزل جارهم سامى ،  
فهى اعتادت على أن تشمله برعايتها بعدما هربت زوجته ، فمن حين  
لآخر ترتب له منزله وتمده بأطياب الأطعمة والحلويات التى تبرع فى  
صناعتها ، ولقد اعتاد هو على ترك نسخة من مفتاح منزله معها ، لفت  
نظرها شجرة فى حديقة منزله ، وقفت أمامها متأملة ، كانت شجرة  
سامقة تقف بجذع ناحل وأغصان قصيرة وارقة "كم تشبهينى أيتها  
الشجرة المسكينة ، فلم تعودى تغطى سوى رأس واحدٍ بظلك القليل ،  
ولا تستطيعى أن تسندى سوى ظهرٍ واحدٍ بجذعك الضعيف ، ولا يغنى  
فيئك عن جوع ، فأنا مثلك لم أعد أكفى ولا أشبع رغبات زوجى" .  
مسحت دموعه نظرت من عينها ، مشيت متجهة إلى مدخل المنزل ، لاحظت  
نوراً منبعثاً من حجرة المعيشة ، أدارت المفتاح فى الباب ببطء ، دخلت  
بخطوات خفيفة ، وجدت سامى بقامته الفارعة يسترخى على الأريكة  
يشاهد التلفاز بادرته:

— سامى أنت هنا !!

— أهلاً علا ، لم أذهب للعمل اليوم .

— هل أنت مريض؟

قام لاستقبالى ، تناول منى ما أحمله من طعام قائلاً:

— أنا لست مريضًا ولكنى فعلت اليوم كما يفعل الإيطاليون، فهم لديهم عادة بأن يقرروا في يوم ألا يقوموا بأى عمل ويمكنوا في بيوتهم للإسترخاء والاستجمام وهذا ما فعلته .  
يكشف الطعام ويصيح فرحًا ، الله محشى ، الله يخليك يا علا .  
يأكل بتلذذ .

لا أعرف برغم فرحته الابدائية عليه إلا إننى أجدها مصطنعة ، فعيناه كايبتان وقسمات وجهه غارقة في الحزن ، فى ماذا يفكر؟ إنه إنسان مرهف الحس رقيق المشاعر ، لا يحتمل خيانة من يحب ، فربما يقدم على تصرف غير حكيم ليداوى كرامته المجروحة ، جال فى ذهنى أن أسأله عن عمله لأرى مدى اهتمامه به سمعت فى صوته نبرة حماسة وهو يحكى لى أنه استطاع أن يحصل على عدة عقود لتوريد كميات كبيرة من الورود لعدد من الحفلات والمؤتمرات فى واشنطن وأنه اشترى سيارة نقل جديدة بدلاً من سيارة المحل القديمة ، فجأة توقف عن الكلام ، وضحك فى وجهى لتظهر أسنانه ناصعة البياض لتزيد وجهه سمة استرسل :

— أنت تريدان أن تعرفى هل أنتى مازلت متأثرًا بفراق هيلين ، لا تتكرى أرجوك .

— لن أنكر ، أنت تعرف قدرك عندى أريد أن أطمئن عليك سامى .

— نعم علا ، مازلت أطلب جراحى من العشق كى أستريح وأشفى من هواها اللعوب لكنى قاربت على الشفاء ، صدقيني علا لم أعد أبكى عليها لم أعد أنتظر عودتها أشعر بأنها شمس بدأت تغرب من حياتى .

تهدجت أنفاسه صعودًا وهبوطًا غرغرت الدموع فى عينيه ، أعرف

كم صعب على الجنوبي أن يبكي ، نُقلت غرغرتة لعيني عندما تذكرت حالي وما أعانيه مع نديم ، بدأت الدموع بالفوران في مقلتي لكنني خنقتها في مهدها ، لكنه لاحظ فقال وهو يقترب مني :

— ألمح سحابة قاتمة تغييم وجهك ، ماذا بك علا؟

عقد لساني لم أستطع تحريكه للإجابة عليه ، اقترب مني أكثر ، نظر في عيني ، كانت عيناه العسليتان تائهتين تيحشان عن ملاذ ، بر أمان ، احتواني بين ذراعيه استسلمت ، ونامت رأسي على صدره العنون ، أختفيت داخله ، عادت دموعي لفورانها من جديد ، هذه المرة فرت دموعه دون إرادتي ، نظر لعيني ثانية ، مسح دموعي ، لفحتني أنفاسه الساخنة . كم أحتاج سامي أن أنام في حضنك أن تواسيني بجراحك وأريت عليك بلوعتي ، كم يحتاج تابوتك إلى مومياء مثلي . بدأت أسمع دقات قلبي وكأنها بندول ساعة في سكون قاتل تهوى على عقلي كهراوة تكرر سؤالاً واحداً ، هل أفعلها؟ قلب المرأة المجروح يصرخ في أفعليها ، وما تبقى لي من عقل يحذرني بأنها مغامرة محفوفة بالمخاطر ، إنه باب تفوح منه رائحة الجنة لكنه يفتح على جهنم هل أصبح كالطائر الذي يحاول الهرب من القفص لتدفعه الريح إلى قفص آخر ، في حركة لا شعورية تغلب فيها صوت العقل ، انفصلت عن حضنه الدافئ ، ساويت بكلتا يدي شعري وقلت بصوت يكسوه الخجل وأنا أنظر لموضع قدمي :

— الأيام قادرة على مداواة الجراح سامي .

قلتها وحركت قدمي الثقيلتين واتجهت إلى باب المنزل لأخرج ، أغلقت الباب ورائي وأنا أتذكر مقولة سمعتها من إحداهن تقول "عندما تحب المرأة لا تفكر في الخيانة ، وعندما يخون الرجل لا يفكر في الحب" .

\*\*\*\*\*

وقف نديم أمام المرأة بحجرة نومه، يسوى شعره، يصلح من رابطة عنقه، يهتدم حُلته التي لا يرتديها إلا في المناسبات الهامة، فالיום ذكرى مولده، أخبر علا بأن لديه مؤتمراً بأحد الفنادق الفاخرة بواشنطن يجب أن يغطي أخباره لمجلته، بينما هو ذاهب للاحتفال مع ميتاب، نظر في ساعة يده كانت الحادية عشرة ظهرًا.

استغرب من تصرف علا فهي المرة الأولى التي تتسى فيها أن تهتئ بعيد مولده وتقدم له هديه، ذهب يبحث عنها، كانت تقف كالعادة في المطبخ:

– ألم تتسى أن تقولى لى شيئاً اليوم؟

فكرت برهة ثم نظرت إلى النتيجة المعلقة على الحائط، ثم قالت بشيء من الفتور:

– آه كل سنة وأنت طيب، آسفة يا نديم سأعطيك هديتك فى المساء .

– وأنت طيبة يا حياتى .

قالها ونظر فى ساعة يده، تناول حقيبته وخرج، قاد سيارته على الطريق السريع، أدار الراديو انبعث منه صوت موسيقى جاز وسرح معها:

اليوم هو اليوم الموعد لنيل ثمرة ميتاب، لقد أعددت كل شيء، أخذت أجازة من عملى وسوف ألقاها بعد قليل فى **Lunch Time** .

أوقفت سيارتى أمام المطعم الذى سألقاها فيه، طلبت غذاء لاثين **Take Away** وجلست أنتظر مجيئها دقائق وهلت فى تاير أبيض يزيدا تألقاً، وكأنها تشاركنى لحظة إحتفالى بقطف ثمرتها فارتدت فستان الزفاف، ابتسمت عند رؤيتى، أخبرتها ألا تجلس، استغربت قلت وأنا

أحمل شنط الطعام:

\_ سنذهب بسيارتى إلى Park المطار لنشاهد هبوط وصعود الطائرات ونحن نأكل ما رأيك؟

نظرت لى بارتياب، أعقبت بصوت صادق:

\_ ميتاب إنه عيد ميلادى وأريد أن يكون لقاءنا مختلفاً فقط من باب التغيير .

ترددت لبرهة ثم أومأت برأسها موافقة، استقلينا السيارة، قادت على مهل حتى تخيرت مكاناً ملائماً لمشاهدة الطائرات، أوقفت فيه السيارة، أخذت أخرج الطعام من الشنط وأضعه على تابلوه السيارة، لكنه أخذ ينزلق نظرت لها فى ضيق ثم لملمت الطعام ثانية فى الشنط، وهممت بقيادة السيارة، فسألت فى قلق:

\_ ماذا تفعل ؟ إلى أين ؟

\_ هل يعجبك ما نحن فيه، إننى أريد مكاناً هادئاً شاعرياً لنجلس فيه أنا أستحق هذا اليوم وأنت من حقك أن تجلسى بحريتك دون أن تلتفتى حولك طوال الوقت خائفة من أحد يراك جالسة معى. تساءلت بتوجس:

\_ وأين هذا المكان فى بيتك؟

\_ ميتاب لماذا لا تثقين فى، إنه مجرد مكان هادىء نجلس فيه بحريتنا .

\_ أنا لا أخشى منك نديم، لأنى أثق بنفسى جيداً.

\_ لا تثقى بنفسك لهذه الدرجة فلكل امرأة نقطة ضعف .

\_ لكن المرأة الذكية هى التى لا تظهرها أبداً .

\_ لكنى أعرفها .

\_ أنت تحلم .

\_ سنرى .

عرجت بالسيارة على الطريق السريع المؤدى إلى فرجينيا ، توقفت عند موتيل **Sea Blue** الذى حجزت فيه مسبقاً الحجرة رقم السادسة والأربعين وهى بالصدفة نفس سنوات عمري. الموتيل يعتبر من أهم الاستراحات التى يعرج عليها المسافرون على الطريق السريع فقيه محطة لتزويد السيارات بالوقود ومطعم راقٍ وحديقة غناء بها كافيه بالإضافة إلى حجراته رائعة التأتيث ، أوقفت السيارة فى ال **Park** واتجهت إلى مكتب الإدارة للإيحاء أمام ميثاب بأننى ذاهب لحجز حجرة . خرجت بعد دقائق ودعوتها للترجل من السيارة ناشدتنى الركوب للحظات ، وافقتها :

\_ أرجوك نديم ما فعله درب من الجنون .

\_ أن نجلس سوياً فى مكان هادىء جنون .

\_ نديم إنها خلوة .

\_ أنت تقولين أنك لا تخشيننى وثقتين بنفسك فما المانع ، إنه يوم

خاص بالنسبة لى فلا تقسديه أرجوك .

\_ إذن أوعدنى أن تغادر بمجرد أن نأكل.

\_ اتفقنا

\_ انتظر

قالتها وأخرجت من حقيبة يدها لفة هدايا صغيرة ، ناولتها لى :

\_ **Happy Birthday** نديم .

حليت وثاقها ، كان بها ربطة عنق سماوية اللون مطعمة بكشميرات صغيرة زرقاء .

— إنها رائعة ، ولكن ألن تقبليني .

مالت على ، وطبعت قبلة سريعة على شفתי ، جعلت جسدي كله ينتفض رغبة ، ترجلت من السيارة واتجهت إلى الناحية الأخرى لأفتح لها الباب ، دارت نصف دائرة بساقيها لتفترجا عن جزء من فخذيها المغوين ليشعلا شهوتي ، فتحت باب الحجر ، دلفنا إليها سريعاً ، عند إغلاقي بابها ، انفتح على مصراعيه باب شهوتي ورغبتى فى نيلها وسيطرت الفكرة على عقلى كهوس ، سقطت منها نظارتها الشمسية انحنت على الأرض لالتقاطها ، استمرت شهوتي وأنا أرى تداويرها الرائعة تتحدد وتبرز أمامى ، انفجرت رغبتى أفعالاً فى لمح البصر انقضضت عليها مطوقها من الخلف بذراعى واضعاً ذراعى الأخرى بين فخذيها أطلقت صرخة مدوية وصاحت فى بغضب :

— يا مجنون ماذا تفعل؟

تحاول تخليص نفسها من قبضتى ، قاربت فمى من أذنها زاد من هوسى رائحة عطرها الأثير ، همست لها :

— استمتعى ، عيشى اللحظة .

طرحتها على الفراش ، حاولت الحبو للطرف الآخر ، لكننى سحبتها من ساقيها وقلبتها على ظهرها ، جئمت فوقها ، رفعت جوبتها لأعلى ، باعدت بين ساقيها ، نزعمت سروالها الداخلى بقسوة ، تمزق فى يدي ، فتحت مزلاج بنطالى ، تلامست أجزاءنا الحميمية ، هممت بإلاجها ، صاحت فى وجهى : لا .. ليس ثانية .. لا .. ليس ثانية .

"كان صراخى يصدع جدران حجرتى ، لكن دون مغيث أو منقذ ،

الكل غافل ، أبى فى العمل ، أمى فى السوق ، وأخواتى فى الـ Back Yard يلهون فى براءة ، أصرخ مرة أخرى يلطمنى بقوة على وجهى تخرسنى اللطمة لبرهة ، اليد الباطشة تمزق ما يقابلها من ملابس ، استحلطه بصوت ناشج مستعطف بالله بالقرابة بالفضيلة ، إلا أنه يستمر فى عدوانه وكأننى أستحثه على فعلها ، لحظة اختراقى ، أحسست بأن عقلى ذهب حاولت الصراخ لكن صوتى حبس ، شلت حركتى وغبت عن الوعى . لكن اليوم لن تعاد الكرة ، لن أستسلم ثانية ، فأنا أقوى شكيمة وبأس حتى صوتى أشعر به يندفع بقوة ، يصير صراخاً فى جوفى ، ينفجر فى وجهه بغضب السنين المكبوت داخلى : لا.. ليس ثانية "

صاحت فى وجهى ثانيةً بهستيرية :

— أتريد اغتصابى ، أهدفك اغتصابى .

عند سماعى كلمة اغتصاب ، أفقت من هوسى ، شلت حركتى ، إرتخت أعصابى ، تملكنى إحساس بالقرص من نفسى . انتقضت واقفاً من فوقها ، كانت دموعها تساب بحرقة ، تساءلت ماذا فعلت؟ أين كان عقلى؟ أين فطنتى؟ هلى هبطت إلى هذه الدرجة من الدونية؟ هل أصبحت عبداً لشهواتى؟ قفزت من السرير واقفة أخذت تهندم من حالها صاحت فى بصوت باك :

— أرجوك أريد أن أذهب حالاً .

طأطأت رأسى موافقاً ، فتحت الباب ، خرجنا ، أخذت أهنم ملابسى وأساوى شعرى بيدي ، رفعت ناظرى لأعلى ، فوجئت بجيسيكـا تقف أمامى بجانب سيارتها ، تنظر خلفى ، تلفت ، كانت ميتاب تخرج وهى تساوى شعرها وتغلق أزرار بلوزتها الداخلية ، نظرت مرة أخرى لجيسيكـا كانت تقف مشدوهة من المنظر ثم تحركت بصورة

آلية استقلت سيارتها وغادرت، بينما وقفت متسمرًا في مكاني من هول الموقف، لحظات وأستقلينا السيارة، الصمت يخيم علينا سوى انشهقات الباكية المتتالية الصادرة من ميتاب، كانت بمثابة أبر توحز ضميري بمنتهى العنف والقسوة، قلت بصوت خجلان:

— أنا آسف ميتاب، أرجوك سامحيني .

قالت بغیظ:

— أرجوك لا توجه لي حرفًا واحدًا حتى نصل .

برغم حالة الاستياء التي تعتريني من نفسي إلا إنني كنت مستغريًا من تصرفها تجاهي فنحن من المفترض شخصان متحابان بيننا مشاعر، وما حدث من تصرفات قبل هذا اليوم يؤكد أنه ليس لديها ما يمنعها من الاستسلام لي مثل القبلة في حوض السمك والإيميلات الموحية والصورة العارية ثم مواقتها أن تأتي معي في مكان مغلق وهي تعلم مدى اشتياقي لنيلها.

إلا إنني وأنا أعتليها فوجئت بقوة الرفض الهائلة داخلها نحوي ثم ماذا تعنى بقولها "لا ليس ثانية"، لكن هذا كله لا يهم الآن فمن الواضح أنها المرة الأخيرة التي أراها فيها وما زاد الأمر سوءاً رؤية جيسيكنا لنا آه يا له من يوم نحس ذكرى مولدي .

\*\*\*\*\*

"دائمًا كنت أطلق على علاقتنا جنون، لكن كنت متقبلاها وراضية عنها لأنني كنت واهمة بأنك تمدني بجرعات النصح الصادق للمحافظة على أسرتي، كنت أعتبرك حائطًا عاليًا، أستند إليه عند ترنحي. أاعترف بأنك استطعت بدهائك أن تستميلني إلى فخك الناعم، لا أنكر أنك ملأت خوائي العاطفي انزلقت بكاملي داخل شركك الوردى، وبدأت أتفاضى عن أقوالك الفاحشة، ملامساتك الخاطفة حتى تملكني هواك تمامًا، فمئحتك ثقتي العمياء، وتماديت سامحة لك بسذاجتي بتقبيلي وضمي لكنك جشع لا تتروى ولا تكتفى، فخذت الثقة وفعلت ما لا يتخيله عقل، أاعترف بأن معرفتك جنون وأن الألوان للبراء منه. الوداع يا من كنت تدعى حبي".

مددت يدي ضاغطًا على زر الخروج من E\_mail مسدلاً الستار عن نهاية قصة بدأت منذ شهر طويلة في Bus Connector أتذكر عندما حاولت لمس يدها كان خصامًا لساعات، وعندما حاولت تقبيلها كان فراقًا ليوم وعند احتضانها في حجرة قياس الملابس كان البعاد لعدة أيام، لكن هذه المرة فراقًا أبدياً لا رجعة فيه ينتابني شعور قوى بأنني الضحية، فأنا لم يتح لى فرصة الدفاع عن نفسي وشرح أسبابي عما اقترفته إنها تنهى العلاقة بكل بساطة غير مبالية لأى مشاعر وأحاسيس بيننا وكأنها كانت سرابًا ووهماً.

أسمع نقرات على باب مكتبي، ينفرج الباب، يدخل خوسيه،

يسألنى ودخان غليونيه يحيط به:

— هل ستأتى معى للغداء؟

تذكرت أننى يجب أن أمر على جيسيكافى المتحف لمحاولة رؤيتها فهى لا ترد على اتصالاتى ولا توجد فى فيلاتها ، لكنهم فى المتحف أكدوا لى أنها ستتواجد اليوم لحضور اجتماع هام . قلت لخوسيه وأنا أصطحبه خارج الحجرة:

— آسف خوسيه لى موعدهام الآن .

— إذن هيا بنا نخرج سوياً .

استقلنا المصعد ، هبطنا إلى الدور الأرضى ، خرجت من المبنى مودعاً خوسيه ، أوقفت سيارة أجرة أخذت أفكر فيما أقوله لجيسيكافى ، كيف سأشرح لها موقفى؟ تخرجت من السيارة ، دخلت من بوابة المتحف اتجهت إلى كافيه الحديقة الفرنسية ، حيث اعتادت أن تمضى الـ **Lunch Time** هناك ، دخلت من الباب تلفت حولى باحثاً عنها ، وجدتتها تجلس وحيدة تتناول طعامها ، اقتربت ، وقفت أمامها ، رفعت عينيها وحدجتى بعيون غاضبة ، قالت بصوت ساخر وأنا أجلس أمامها:

— أرى أنك هندمت ملابسك وساويت شعرك .

— جيسيكافى أرجوك ، يجب أن تتفهمنى موقفى .

— أتفهم ماذا؟ أى موقف؟ كم أنت وقح !!

توقفت برهة ، تنهدت وأخذت رشفة من كوب الماء ثم استرسلت بصوت هادىء:

— أعترف لك أنك خبير فى ممارسة الحب ، عرفتنى على جسدى ، جعلتنى أكتشف تفاصيله الدقيقة من شعرى حتى أخمص قدمى

لكنى لا أقبل أن أصير مجرد محطة ضمن محطات قطار شهوتك السريع تتذكر عندما سألتك لماذا تخون زوجتك؟ قلت إنه الملل . وأنا كسرت لك هذا الملل كنت آلتك التى تشجر بها حديقة زواجك السعيد بإعطائك دفقة الجنس الخالص مقابل وعدك لى بعدم العبث مع أخريات لكنك للأسف تريد حرملك تعريد فيه من أجل ارتواء شهوتك واشباع غرائزك التى لا تهدأ المسألة ليست مللاً بل إن الخيانة فى دمك.

أقاطعها :

– لقد وقعت فى الحب جيسىكا .

– ماذا؟ أنت تهذى أمثالك لا يعرفون الحب ولا يتعاطونه ، أنت لا تؤمن سوى بالجنس .

تفهمينى جيسىكا .

– كما قلت لك من قبل أنا أحب أن أكون الصائتة لا الفريسة ، أرجوك كفى لقد سئمت تلك المحادثة .

– بل قولى إنك قد اكتفيت منى .

– كم أنت وقع من اكتفى وذهب لأخرى .

قالتها وانتصبت واقفة صائحة فى غضب:

– مثلك يحتاج إلى علاج ، يجب أن تعرض نفسك على طبيب نفسى .

خرجت من الحديقة غير مصدق ما يحدث لى ، فضى عدة أيام فقدت من أتباهى بحبهن ، شعور قاتل بالحسرة يحتلنى ، صوت تكسر أوراق الشجر الجاف تحت وطأة حدائى يزيد شعورى بالوحشة ، جالت بخاطرى علا وتساءلت هل ما يحدث لى هو انتقام من الله لخيانتى وظلمى لها ؟

دخلت مكتب خوسيه إثر استدعائه لي، وجدت جانيت تجلس أمامه في هدوء، استقبلتني قاتلاً وهو يناولني بعض الأوراق:

— ها قد انتهت جانيت من مسودة موضوع الصحافة العربية، اجلس واقرأ وقل رأيك .

بدأت أقرأ الأوراق . مقدمة قوية ذات بلاغة عالية ومنصفة تماماً للعرب مظهرة مجهودهم في إصدار صحافة خاصة بهم في المهجر، ثم سرد بيلوجرافي للصحف والمجلات التي صدرت في القرن التاسع عشر حتى الآن، لكن ما أثار استيائي أنها بدأت السرد البيولوجرافي بجريدة الهدى لصاحبها نعوم مكرزل التي صدرت عام ١٨٩٨م، أكملت القراءة لآخرها ثم وضعتها جانباً على مكتب خوسيه . لمحت جانيت تحدجني بنظرات متمرة، قلت بهدوء:

— موضوع في غاية الجمال أجدت في صياغته ولكنك في البيولوجرافيا أغفلت عدة محطات مهمة جداً.

ردت على بغيض:

— وما هي تلك المحطات.

— إنك مثلاً أغفلت ذكر أول صحيفة عربية صدرت في الولايات المتحدة والتي أنشأها الأخوان إبراهيم ونجيب عرييلي عام ١٨٩٢م وهي كوكب أمريكا، أيضاً أغفلت ذكر صحيفة المهاجر التي أنشأها أمين الغريب عام ١٩٠٢م والتي نشرت باكورة أعمال خليل جبران وخاصة ما عرف بعد ذلك بكتابه دمعة وابتسامة ويمتبر أمين الغريب مكتشف جبران فكيف يُفعل ذكر ذلك .

نظرت إلى خوسيه وجدته يدخل غليونه في سعادة بادية على وجهه،

فهذه عاداته دائماً في إخراج موضوع في صورة براءة بأن يجعل اثنين من المحررين يتبارزان عليه الأول يكتبه والثاني يكلف بمتابعته بالنقد وتبادل الرأي حتى يخرج الموضوع في أبهى حلة له.

قالت جانيت:

— لا تنس أنك من أعطيتني هذه الأوراق .

قلت بحدة:

— وأنت أغفلتني فيها أشياء، يجب أن تعي أنها تاريخ .

يتدخل خوسيه:

— ولم كل هذا الانفعال يا نديم .

سيطرت على انفعالي، اعتذرت لها عن عصبيتي غير المبررة  
مسترسلاً:

— اعدراني فأنا اليوم لست على ما يرام . فقط أريد أن أوضح أن موضوع إصدار صحيفة باللغة العربية في المهجر الأمريكي في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين لم يكن أمراً سهلاً، فمثلاً كان لا بد من استيراد حروف الطباعة العربية من لبنان، وكانت لا تصلح أن توضع على المنضدة الآلية (اللينوتيب) فكانوا يضعونها على منضدة يدوية وهذه طريقة في منتهى الصعوبة، لذا فعلى الأقل ونحن نكتب عنهم ألا نغفل أي أسهام لهم في هذا الشأن تقديراً لما بذلوه من جهد.

قالت جانيت بصوت هادئ وقد اختضت نظراتها المتتمرة:

— معك حق سوف أدارك تلك النقاط، لكن ما يجعلني أندesh أن مع وجود رأسمال عربي ضخم في الولايات المتحدة إلا أنكم لم تتبنوا مشروعاً لإصدار صحيفة مركزية ذات مهنية

عالية تستهدف التجمعات الرئيسية للجالية العربية في المجتمع  
الأمريكي كله وتوزع في نفس الوقت في الوطن العربي وتكون  
بمناخ قناة تواصل بين الوطن العربي وأبنائه في المهجر .  
\_ معك حق فنحن على كثرتنا إلا أننا لا نعمل على نحو مرئي  
منظم.

\*\*\*\*\*

دلفت أنا وجومانة من بوابة إحدى البنايات العالية في وسط  
العاصمة، اتجهنا إلى المصعد، استقليناه ضغطت جومانة على الدور  
العاشر، عدة ثوانٍ وخرجنا منه سبقتني جومانة بخطوات تعرف وجهتها  
تماماً دلفت من باب زجاجي علقت أعلاه لافتة أنيقة خط عليها "جمعية  
المرأة والأسرة" توجهنا إلى مكتب الاستقبال بادرت جومانة الموظفة:

\_ لدينا موعد مع السيدة وتنى واتسون .

\_ هل أنتما السيدة حداد والسيدة الشاعر ؟

\_ بالضبط .

\_ إنها في انتظاركما تفضلاً في المكتب .

أشارت لنا إلى حجرة في وسط البهو، دخلنا إليها كانت واسعة  
راقية التأثيث مكتب فخم ومنضدة اجتماعات كبيرة ومكتبة عامرة  
بالكتب والمراجع، استقبلتنا سيدة في العقد الخامس شقراء ملفوفة  
انقوام، مازالت تحتفظ بقدر كبير من جمالها، رحبت بحرارة بجومانة  
وسألتها عن حالها، قدمتي جومانة لها، هممت بأن أفتح لها موضوعي  
إلا أنها قاطعتني:

\_ كل ما يدور في رأسك ستجدينه في المحاضرة بل وأكثر مما  
تفكرين فيه يا علا .

— أدهشني أنها تتاديني باسمي وليس بلقب زوجي ، جلت لي دهشتي  
قائلة :

— أنا لا أحب أن أنادي المرأة بلقب زوجها بل باسمها الذي أطلقته  
عليها أسرتها فيجب على المرأة أن تتمسك باستقلالها وخاصة  
إسمها وهذا ما أحترمه فيكن أيتها الشقيقات .

ضحكت ودعتنا للدخول إلى قاعة المحاضرات . دلفنا من باب  
جانبي أفضى بنا إلى قاعة فسيحة تسع لأكثر من مائة شخص ،  
ولدهشتي كانت محتشدة بالنساء ، نظرت لجومانة متسائلة هل  
الخيانة الزوجية تفشت لهذه الدرجة ؟

جلسنا في أحد الصفوف المتقدمة ، بينما اعتلت ويتى واتسون  
المتصة ، ارتدت عدساتها الطبية ، نظرت لنا مبتسمة ثم قالت :

— عزيزاتي الخيانة الزوجية شيء فظيع ، تنشأ لوجود خلل ما في  
الطبيعة الزوجية التي تربط بين الأزواج ولهذا الخلل أسباب كثيرة .  
دعونا نتحدث عن أهمها وأريد منكن وبكل شفافية وصدق  
أن تطبقوا ما تسمعه على حائكن وتصارحو أنفسكن بالسبب  
الحقيقي لخيانتهن ، وأؤكد لكن أن بداية الخروج من كهف الخيانة  
هي تلك المصارحة .

إن من أهم الأسباب التي تؤدي إلى خلل العلاقة الزوجية عندما لا  
يجد الرجل ما كان يطمح فيه من صفات في شخصية شريكته ،  
وإن لم يكن قنوعاً فإنه لن يجد هذه الصفات حتى مع ألف امرأة ،  
لأن لكل شخص حسناته وسيئاته . أو يكون الرجل من هذا النوع  
الذي يحب التغيير ويميل من العيش مع امرأة واحدة وهذا في الحقيقة  
يعتبر مرضاً خطيراً . في كلتا الحالتين السابقتين يجب أن يعرضنا على

طبيب نفسى.

وهناك بعض الرجال يحبون أن يكونوا مرغوباً فيهم على الدوام وعندما يشعرون بانصراف الزوجات عنهم باهتمامات أخرى كالتبني والأولاد أو العمل فأنهم يولون وجوههم نحو أخريات .

كذلك عندما يواجه الرجل متاعب فى عمله مثل عدم إيجاده التقدير المناسب له فإنه يلجأ دائماً إلى امرأة أخرى كى يثبت لنفسه أنه مازال مرغوباً فيه وأنه محط تقدير آخرين.

وهناك زوجات كثريات يجعلن من أزواجهن محط سخرية أو نقد مستمر أو لا تحترم أهله أو أنها تخرج بمشاكلهم الزوجية خارج إطارهما ، كل هذا يدفع الرجل للبحث عن أخرى يختبئ فيها .

لكن أصارحكن القول بأن معظم الخيانات الزوجية تحدث عندما تصبح العشرة باهتة باردة روتينية ومن هنا يبدأ الرجل فى البحث عن الرومانسية التى تلاشت من حياته عند أخرى .

توقفت برهة ثم قالت بجديّة :

— أرجو أن تكونوا وقفتن على سبب خيانة زوج كل منكن . والآن دعونا نتحدث عن التيقن من خيانة الزوج فهناك دائماً أعراض تستجد على الرجل بمجرد معرفته بأخرى ومرة أخرى أظالبيكن بتطبيق تلك الأعراض على أزواجكن .

فمثلاً غياب الزوج خارج المنزل وبدون مبررات واضحة . حرصه الشديد على هاتفه المحمول واصطحابه له فى كل مكان ، إخفاء إيميلاته وأشياءه الخاصة على الـ Laptop وكثرة استخدامه له فى المنزل لأوقات طويلة.

فتور العلاقة الجنسية بين الزوجين بطريقة تخالف ما كانت عليه

سابقًا . كثرة انتقاد الزوجة واختلاقه المشاكل لأتفه الأسباب ، اهتمامه بمظهره العام وممارسة الرياضة بشكل زائد عن الحد ، كثرة سفرياته المفاجئة بدعوى العمل ، زيادة كرمه وسخائه مع الزوجة وتشجيعها دائمًا على الخروج مع الأولاد لزيارة العائلة والأصدقاء أو للذهاب إلى النادي أو الرحلات .

هذه أهم الأعراض التي يجب على المرأة الفطنة أن تقف عندها وتتفحصها ولا تستخدم أسلوب الإنكار وكأن الأمر سيستقيم تلقائيًا وأنها مرحلة وستمر ، بل يجب أن تنقب بروية وحذر .

خاصة نحن النساء نتمتع بقوة حدس وندرك أشياء لا يدركها الرجال وهذه القدرة ليست مجرد شعور غامض ليس له أساس عصبى عضوى فلقد أثبت علمياً وجود نشاط كبير فى منطقتين من مناطق المخ هما القشرة الجزيرية والقشرة الحزامية الأمامية التي تجعل من الحدس عند المرأة أعلى من الرجل

توقفت برهة أخذت رشفة من كوب الماء بعدها أسترسلت:

— سنفترض الآن أننا قد تأكدنا من خيانة الزوج ، بلا شك ستشعرين بمشاعر خوف ممزوج بالغضب العارم وجرح غائر بكرامتك ورغبة جارفة فى الانتقام ، هذه كلها مشاعر مشروعة وطبيعية ولكن إياك وأن تقترفى أى أخطاء من شأنها أن تدمرى أسرتك مثل أن تطرديه من المنزل أو تتركى له المنزل وتغادرين ، بل يجب أن تدخرى هذه الحركة لتكون ملجأك الأخير إذا لم تتوصلى لحل ، فيجب أن يبقى تحت ناظريك حتى تعرفى عمق العلاقة بينه وبين الأخرى حتى تأخذى القرار الصائب.

واصلى مراقبة نشاطاته اليومية وانتبهى لتصرفاته ، وكثرة اتصاله

بالأخرى دون أن تشعر به بذلك ، لاحظى أنه كلما كان بالبيت كلما كانت احتمالات إصلاح الأمور مازالت قائمة .

من الطبيعي أنك تريدين أن تخبرى شخصاً تثقين فيه عن مشكلتك لكن كونى حذرة من اختيار الشخص الذى تريدين أن تخبريه . يجب أن تعرفى فى أسرع وقت السبب الذى جعله يهرب إلى أخرى وإذا كان السبب منك يجب أن تعالجه فىك فوراً .

إياك أن تذلى نفسك بالاتصال بالمرأة الأخرى أو السعى لمواجهتها وأن تطلبى منها أن تدع زوجك وشأنه تذكرى أنها غير مجبرة أن تستمع إليك أو أن تأخذ أوامر منك فمضايقتها سيظهرك بموقف سخيى وقد يجعل زوجك يأخذ صفها ويتعاطف معها أى أنك تقومين بالتقريب بينهما دون أن تشعرى فقط إنسى وجودها وحاولى التركيز على إعادة زوجك إلى الطريق الصحيح .

توقفت ثانية ونظرت لنا بإمعان قائلة :

– تريد المرأة أن تكون الأخيرة فى حياة الرجل ويريد الرجل أن يكون الأول فى حياة المرأة ولا يعلم الإنسان أنهما ألعوية فى يد كيوبيد إذا رشق سهمه فلا يهم من الأول ومن الأخير المهم أن يحافظ المرء على حبه بكل ما آتاه الرب من قوة ولا ينسحب عند أول عثرة .

وأخيراً يجب أن تؤمنوا بأنكن أقوىاء فإن الرجل لم يستطع حتى الآن أن يدرك مداخل ومخارج المرأة ولم يغور إلى مخابئها السرية ، فهو ما زال يجهل قدرات وإمكانيات أكثر ضلوعه هشاشة .

اختتمت كلمتها وهبطت من المنصة ، جلست فى مقعدى مبهورة بما قالته ، أعترف أنتى استفتت منها أنارت أمامى ممرات مظلمة لم

أكن أراها ، فتحت عقلى على أفكار وطرق يمكن سلكها.

تفرق الجمع ، فوجئت بالسيدة ويتنى تقترب منى بادرتنى قائلة:

— هل استفدتى بشيء.

— بالكثير ، أنت رائعة إن كل الأسئلة التى كانت تدور فى رأسى

أجبتى عنها لقد أعطيتنى أملاً كبيراً فى إصلاح الأمور.

— علا ، تذكرى دائماً ما قالته أوبرا وينفرى "لقد قررت أن أحارب

من أجل ما أريده وأن أكون ما لا يريده الآخرون لى" هكذا علا

يجب أن نكون.

\*\*\*\*\*

وقف نديم ينظر من نافذة حجرة نومه ، إلى أنوار أعمدة الطريق

الخافتة التى تتداح على الأشجار وعشب الحديقة وممرات بيته ،

فيحيلها موحشة تزيد كآبه وتوغر قلبه بالأسى على فقدان ميثاب

وجيسيكا ، يشعر بيد توضع على كتفه ، يلتفت ، يفاجئ بعلا ترتدى

روباً حريراً وردى اللون ، يضى عليها هالة من الاثارة تحاول استمالته ،

بمداعبة شعره ، وينظراتها الهائمة الموحية.

"هل تستطيعين مساعدتى على نسيان عذاباتى النفسية ، هل أنجح

فى دفن ما أعانيه من نوعة وحسرة فى أحضانك"

مددت يدي ، جذبت الروب ، إنحلت عقدته الواهنة ، أدخلت يدي

مداعباً عريها الدافئ ، أسقط الروب أحتضنت العرى الخامر .

"لم تزل فى شفيتك تلك الرجفة المشتاقة ، لكنى ألمح فى قسما

وجهك تجهماً رخامياً وأشعر فى لمسائك بغرية كأنها ليست يديك ،

جسدك ينبئننى بشيء غامض تخفيه فى صدرك عنى ، هيا بح أيها

التعس فأنا ملاذك مهما عصفت بك رياح الأخرىات ، فأنا لن أتركك

لغيري وأخسر ما بنيت بهذه السهولة . ضمته بقوة مستشقه عبيره  
الذي طالما سحرتني."

"يخوننى شعاع رجولتى فى مشهد أيروتيكى خائب، أحاول أن  
أصمد باستماتة محارب اسبرطى قديم ينضح سائر جسدى بالعرق،  
تعلو أنفاسى لاهثة، يخفت ضوء آخر محاولاتى وينطفئ، لأنسحب  
مطأطأ الرأس غافل الطرف خاجلاً من موقفى . إلا أننى مدت طرفى  
بعد لحظات مستجدياً نظرة عطف أو كلمة تهوين منها."

"أين رجولتك هل محيت؟ أين مشاعرك هل كسيت بالجليد؟ ألهذه  
الدرجة أصبحت لا أستهويك لا أحرك لك ساكناً، أضع جسدى من  
مخيلتك، ألا تتذكر ذلك الجسد الذى تملص منه هارياً، ألسنت من  
امتصصت رحيقه وغرقت فى عسله وارتويت من بئره، أعرف أنك  
ممسوس بها، سأنفض عنك سحرها وأبرئك من مسها، لن أتركك  
لغيرى تملكك، سأبعثك لى من جديد بدفء حبى وسلسبيل عطفى"  
حبست دمعتى فى مقلتى ودفنت حسرتى فى ابتسامتى وكسوت  
كلماتى بطلاء التشجيع:

— أراك مرهقاً اليوم يا حبيبى .

وملت عليه طابعة قبلة على جبينه، مدت يدي وأطفأت نور الأباجورة  
الخافت وتمنيت له نوماً هادئاً.

\*\*\*\*\*

فى غرب فيرجينيا توجد مزارع العنب ومصانعها المحلية الملحقة بها  
لصناعة النبيذ ويتبع كل مزرعة حانة لتذوق إنتاجها، وفى أيام الأحاد  
تكون هذه المزارع قبلة لكثير من الزوار لتذوق أنبذتها بدون مقابل،  
وهى سياسة تسويقية تتبعها المزارع من أجل إحداث رواج لمنتجاتها.

يملك والد جومانة، كلود خورى واحدة من تلك المزارع بالإضافة إلى اسطبلات لتربية الخيل، فقد قرر بعد خروجه على المعاش من وزارة الخارجية الأمريكية أن يهجر المدينة ويبعد عن صخبها خاصة بعد وفاة زوجته.

دائمًا ما أذهب هذه الرحلة ولكن كسائق ليموزين لتوصيل زبائن إلى تلك المزارع، لكن اليوم كانت الرحلة عائلية فلقد أخبرنى جان بأننى مدعو معه للاحتفال بعيد الشكر عند حميه، تعجبت لأنه نادرًا ما كان يذهب هو إلى هناك، ربما فى عيد الميلاد لتهنئة الرجل فقط، لكن كثيرًا ما تصطحب جومانة علا والأولاد لتقضيه نهاية الأسبوع فى المزرعة، خاصة أن الرجل لديه حديقة بها الكثير من ألعاب الأطفال أقامها لجذب أحفاده دائمًا لزيارته ابتسمت وأنا أنظر إلى جان فكل هذا التحسن قد وصل إليه من عدة زيارات قليلة لطيببه انفسى كم أضع وقتًا طويلًا فى عدم الانصياع لزيارته .

استقبلنا الرجل بترحاب شديد خاصة الأولاد الذين يحبهم بشكل كبير، عندما تراه لا يمكن أن تصدق أنه فى أواخر العقد السادس، فقوامه الرياضى وأناقة ملبسه ووسامة خلقته تجعله يكبرنا بعدة أعوام فقط، اصطحبنا إلى داخل فيلته التى هى أقرب إلى القصور، أجلسنا فى تراس مشرف على حديقة غناء بالأشجار والبساتين ونافورات متباينة الأحجام، اعتذر منا للإنصراف مؤقتًا لاصطحاب جومانة وعلا والأولاد إلى اسطبلات الخيل التى يحبونها، جلست قبالة جان اندهشنا لوجود مذياع كبير يصدر بصوت فيروز بأدبته قائلاً:

— إن جلسات الطيب النفسى أتت بثمارها.

انشرحت أساريه وانتقل بجوارى و بصوت بشوش فرح قال:

– بالأمس مارست الجنس مع جومانة لأول مرة منذ شهور طويلة .  
توقف برهه ثم نظر في عيني قائلاً بجدية:  
– نديم عليك أنت أيضاً زيارة هذا الطبيب إنه رائع.  
قبل أن أرد عليه ، دخل علينا كلود ، رحب بنا مرة أخرى ، جلس  
وهو يقول:

– أراكم مستمتعين بصوت فيروز ، إنها إحدى المحطات العربية  
على موجة FM وهم يخصصون كل يوم لمطرب معين ولحظكم  
أن اليوم لفيروز .

دخلت علينا خادمة تحمل صينية قهوة تركي ، لاحظ استغرابنا ،  
فأخبرنا بأنه متيم بالقهوة التركي وأن لديه صديقاً يمتياً يجلب له البن  
المحوج بشكل منتظم.

صدحت فيروز بأغنية القدس العتيقة ، أخذنا ننشدها معاً "الغضب  
الساطع آت وأنا كلي إيمان" عقب جان:

– لها سنين طويلة تردد الغضب الساطع آت ولكنها للأسف لم  
تحدد زمن وصوله.

رد عليه كلود بصوته الهاديء بعد ما أخذ رشفة من فنجان قهوته:

– من خبرتي في السياسة أؤكد لك أن منطقة الشرق الأوسط  
مقدمة على تغيرات كبيرة تفوق الخيال.

اعتدل جان في جلسته مخاطباً كلود:

– هذا تكهن من واقع خبرتك أم معلومات أكيدة من مصادرك؟

– ربما الاثنان .

قلت في حماسه:

— سيد كلود إن استقلال الأوطان نوعان استقلال يطرد المحتل  
ليبنى ويطور الوطن، و استقلال دولنا الذى يرغم المواطن على  
العنين لأيام الاحتلال ويتحسر على أيامه، صدقنى القول عندما  
أقول لك أن شعوبنا تريد التغيير لتتخلص من العصابات التى  
تحكمها حتى ولو كان ذلك عن طريق التدخل الخارجى أو  
المؤامرة. لأن فى النهاية نحن الفاتزون لتخلصنا من هذه الأنظمة  
الفاسدة، وقتها سنمتلك مقدراتنا بأيدينا ولن يجبرنا أحد على  
فعل ما لا نريده.

— معك حق يا ودى، المهم هو توافر النيات الحسنة لبناء الأوطان.  
تدخل جان قائلاً:

— كلود نحن هنا لنتشرف من فيض خبراتك وصولاتك مع النساء  
وليس لخبراتك وحكمتك السياسية  
ابتسم الرجل قائلاً:

— وماذا تريد أن تعرف عن النساء يا جان؟ ألا تكفيك ابنتى.

— يا حماى العزيز، أريد فقط أن أتحصن من غوايتهن.

— يا عزيزى لكل رجل معركته الشخصية مع غواية الشهوة،  
فبحث الرجل الدؤوب عن المرأة وجسدها الجميل هو البحث  
عن الكمال، فيوجد فى أعماق اللاوعى للرجل بأن لديه جزءاً  
يسعى للوصول إليه حتى يستعيد كماله باستعادة الجزء الذى  
تم استئصاله منه، بالإضافة أننا جميعاً لدينا رغبات شهوانية  
وهى مرتبطة ومعلقة بشيء وحيد وهو الارتواء الجنىسى وإن شعور  
الصواب والخطأ يذهب أدراج الرياح من أجل لحظة متعة  
تدخلت بشغف فى الحديث:

— لكن ربما يتجرف الرجل ويتخطى الارتواء الجنسي ويصل لدرجة الوقوع في العشق ويجد نفسه وسط دوامة مقارنة بين حبه لزوجته وصديقتها

— الرجل يا سيد نديم لا يستطيع أن يحب إلا واحدة فقط، ربما تتعدد علاقاته العاطفيه في نفس الوقت، لكنه لا يحب منهن سوى واحدة.

قال جان وهو يحدق في:

— لكن كيف نحارب ذلك الاغواء في داخلنا.

— مارك توين يقول "هناك عدة طرق لمقاومة الاغواء والطريقة المثلى أن تكون جباناً" لكننا يا سادة ليس معظمنا جبناء، قالها ورشفت ما تبقى من فنجان قهوته.

ارتشفت أنا أيضاً فنجانى شاعراً بنشوة ممزوجة بفرحة شجية تسكب في فنجان قهوتي التركية وأنا استمع لنصائحه، استرسل قائلاً:

— خذها من عجوز مثلى يللم عمره، مر بتجارب طويلة تراها في خطوط تجاعيد وجهه إن أمثل الطرق لتجنبه يكمن في ثلاث كلمات. أتعلم يا سيد نديم لماذا يبرمون عقود الزواج عند المذبح بالكنيسة، لأن فيه يحدث تضحية من كلا الطرفين، ففيه تتبادل العهود والمواثيق، وبعد العيش معاً لفترة ندرك أن علينا أن نتغير إذا أردنا أن يدوم زواجنا، فيجب على كل طرف أن يتنازل ويتخلى عن بعض هواياته وعاداته وهذا يا عزيزي ما نطلق عليه المرونة وهي الكلمة الأولى في نجاح الارتباط والبعد عن الإغواء، ثم إنني بعد هذا العمر الطويل توصلت إلى حقيقة

هامة وهى أن هدف الأغواء دائماً هو الجنس ، الذى هو مجرد إرضاء للنفس عندما لا تصل إلى الحب الحقيقى ، إذن الحب هى الكلمة الثانية لمحاربة الإغواء داخلنا فيجب أن نبحث عن الحب فى شريكة حياتنا وتأكد من أنه موجود و إلا لما ارتبطت بها ، إذن يكون عليك أن تفض عنه الغبار وتزيل الصدأ الذى أصابه ليبرق من جديد ، أما الكلمة الثالثة يا عزيزى جان للتحصن من الإغواء هى الرب ، نعم القدرة والرغبة فى التقرب من الرب فهى الحصن من الفواية.

فى طريق عودتنا بالسيارة ، فكرت فيما حدث ، ويت متأكداً أن مقابلتى مع كلود هو أمر مرتب من البداية فهذه هى طريقة جان فى إعطاء النصح ، فبرغم من علاقتنا الوطيدة إلا أنه لا يحب أن يرتدى عباءة الناصح بل دائماً ما يغلف مواضعه بطرق غير مباشرة ربما حتى لا يجرح مشاعرى ، وها هى واحدة منهن وإلا بم أفسر إصراره على دعوتى هذا العام للأحتفال بعيد الشكر ، وأن يفتح سيرة غزوات كلود انسائية ونظراته لى وهو يستفسر عن محاربة الاغواء داخلنا . نظرت له نظرة مواربة وجدته يبتسم لى ابتسامة ذات مغزى.

\*\*\*\*\*

على إحدى الطرق الجانبية المتفرعة من الطريق السريع لفرجينيا ، توجد مزرعة صغيرة ، يقف حول مبناها عدد كبير من السيارات والدراجات البخارية ، الشيء اللافت للنظر أن معظم رواد المكان حلقو الرؤوس ويرتدون غالبيتهم الملابس الجلدية .  
ترجل جون ويلكس من على دراجته البخارية ، اتجه إلى باب المبنى ، دلف منه إلى قاعة فسيحة تعج بالرواد كسيت جدرانها بصور

أدولف هتلر فى أوضاع مختلفة وزيلت كل صورة بقول مأثور من أقواله مثل "ليست الحقيقة ما بهم وإنما النصر" وثانى "الإنسانية هى تعبير عن العباء والجبن" وآخر "النجاح هو المقياس والقاضى الوحيد فى الدنيا بين الصواب والخطأ" وهناك عدة صور أخرى لبعض قادة النازية أمثال هيس وجوبلز وصورة لمؤسس الحزب النازى الأمريكى جورج لينكولن روكويل، يتدلى من سقف القاعة أعلام ورايات مختلفة الأشكال للنازية بصليبيها المعقوف.

فتح باب جانبى وخرج منه عدة رجال يحيطون بواحد منهم قصير القامة حليق الرأس مثلهم حاد النظرات ذوقسمات صارمة، يرتدى الملابس العسكرية النازية أعتلى منصة عالية فى صدر القاعة، نظر للجمع طويلاً، خفت الصوت، سكن الهمس وعم الهدوء، صاح الرجل بصوت جهورى أجش:

— من الأسمى .

صاح الجمع مردداً وراءه فى حماسه:

— نحن.

— من الأنقى .

— نحن.

— من الأعظم .

— نحن

— فليصل صوتى إلى مخنشى العالم الأوغاد السماسرة وكبار المحتالين فى بلادنا، والى الأقليات النجسة التى شوهت مجتمعا ووصمته بالعديد من الأمراض والعلل، فها نحن تنهش أجسادنا البطالة لمشاركتهم أعمالتنا و مآكلنا ومشرينا ومسكننا، بل

تطاول أحدهم وأصبح رئيسًا علينا وتلك الحيوانات القادمة من بلاد الصحراء الذين يريدون تدميرنا ، وحشرات الهوام من اليهود الذين يتحكمون في أرزاقنا ، فطوبى لمن يرفع حجرا في وجه أحدهم ليسحقه به ، حتى نبيدهم جميعاً .

ألهيت كلماته الأخيرة حماسة الجمع ، فرددوا وراءه: نحن ، نحن .

صاح جون ويلكس بصوت يتفجر حماسة وجسد ينتفض ثورة :

— نحن للأوغاد .

ومد يده متحسباً مسدسه تحت ملايسه ، قبض عليه بيده متممًا

بنبرات تقطر كراهية وحقد :

— سنبيدكم يا ديدان الارض .

\*\*\*\*\*

"كانت شמוש مجرتى دائمة الاشرار من أجلك ، كنت على استعداد لأن أحضر لك رأس ميدوسا قربانًا ، أن أرفع لك الكرة الأرضية وأكون طاليس ، أن يتلاشى جسدى كسيميراميس وأصبح حمامة تهدل بحبك ، لكنك أردت أن تتلاشى بداخلى ، فأصبحت كطيف جاء وذهب"

كم أنت رقيق وقاسٍ يا نديم ، ماذا كنت تريد منى؟ أن أستسلم لك ليزداد عدد الخائنات فى العالم واحدة أخرجنى النادل من خواطرى بوضعه فتجان الكابتشينو على المائدة وابتعد ، نظرت مرة أخرى إلى شاشة الـ Laptop ولكلمات نديم المؤثرة ، ماذا كنت تريد منى؟ أن أبيع أسرتى من أجل دقائق متعة زائلة ، لا أنكر أننى أتعذب بفراقك . حبست نفسى فى منزلى ، أهملت مظهرى ، جاهدت لأنساك بشتى الطرق ، حاولت إصلاح ما فسد بينى وبين نجاد ، لكن بلا جدوى ، فهو

يقابل كل تصرف منى بما يزعج القلب ويشوه المشاعر. لتعاودنى من جديد مئات الهواجس بأننى لن أراك ثانية، بت أحلم بأن يصدح صوت الـ Laptop ويعلن قدوم رسالة منك لأتخذها ذريعة لأراك من جديد، لكنه جثة هامدة مما أدى إلى غرقى فى عذابات الفراق.

بالأمس أحسست بأن البيت سجن تجرد من دفته بات يلفظنى، الأشجار من حوله عُرِيت أوراقها، تحولت لأشباح شيطانية ترهبنى، لم يعد هناك جيران يؤنسوا وحدتى اختفوا فجأة، ذهبت أختبئ فى دفء سريري لأفيق فى الصباح على اسمك يتراقص فى رأسى فى طعم لعابى بين شفتى، قمت مسرعة إلى الـ Laptop فتحتة بلهفة فاتقة، كانت أصابعى تسابق دقات قلبى، أكتب بحروف من اشتياق أطرده مع كل كلمة شعور الهجر ولوعة الفراق، لكن مع اتمام الرسالة مسحتها لم تطاوعنى كرامتى .

لكننى اليوم قررت انهاء عزلتى والرجوع إلى العمل، وها أنا أجلس على مائدة فى صدرالكافيه، ربما أردت أن أعلن عن ظهورى، لعلك تلوح أمامى بابتسامتك المشرقة وفى يدك وردة، تطلب السماح بالجلوس أتمنع وأرجو ألا تغادر، تتوسل فأسمح لك بالجلوس تحملق فى كعادتك .

يقتررب النادل لياخذ طلبك . حينها فقط أفيق على حضورك وأنها ليست تخيلات، فهنا أنت والبراح فى عينيك تحملقان فىّ، وشفثاك ما برحنا تعتذران عما بدر منك وتسوق العذر تلو العذر.

— أنت من شجعتينى بإرسالك صورة تلك الفتاة العارية وسؤالك لى، نديم لأى مدى تشبهنى؟ أتريدين أن تأتبنى هذه الرسالة ولا أسيطه هياجًا !

– نديم إنك حتى لم تمهلنى وقتاً للإفراء بنفسى للتهيؤ لمثل هذه الأمور، انقضضت على كالوحش عند التهامه فريسته، إنك لا تفكر إلا فى اشباع غرائذك دون اعتبار لأى عواقب .

– أنت أيضاً لم أتوقع منك كل هذا المنع والرفض تجاهى ثم ماذا كنت تقصدين بقولك "لا .. ليس ثانية"، لقد كررتها أكثر من مرة.

فوجئت بأنه انتبه لهذه الكلمات على الرغم من صخب الحدث، لكن من الواضح أنه حلل ما حدث بترو وبكل دقة، نظرت له ملياً وأخبرته باغتصاب ابن عمى لى بكل وحشية وأن ما حدث فى الموتيل ذكرنى بالماضى . توقفت لبرهة أخذت رشفة من فنجان الكابتشينو أخبرته أنه بسذاجتى قد حكيت لنجاد ما حدث لى من ابن العم، فى وقتها لم يتأثر بما سمع، لكنى أحسست بأنه حدث شرح يكاد لا يرى فى علاقتنا، بدأ ينمو بعد زواجنا بواسطة عقليته الضيقة الضحلة، حتى بدأ يظهر بوضوح على جدار علاقتنا وتمكن انشك من نفسه المريضة وأخذ يعايرنى فى كل مناسبة بأننى من شجعت قريبي على اغتصابى وأننى عاهرة بالفطرة وعلى استعداد لخيانته مع أى عابر سبيل، كم هو قاس هذا الرجل أصبحت علاقتنا لا تحتاج سوى مجرد نقرة خفيفة على جدارها لتتحطم بكل سهولة.

مد يده ولمس وجنتى فى حنان:

– أنا أحبك ميتاب وأنت تحبيننى لا تتكرى، فلماذا لا تفكر بأن نترك كل شيء وراءنا ونبتعد .

نزلت كلماته على كالسيف البتار، دمعت عيناي، أحسست بغضب جامح يجتاحنى لم أعد أسمع سوى صوت ابنى ينادينى وغناء

إبنتى الطفولى، نهرته بشدة ونعته بالجنون وأمرته بالصمت، هب فى قائلًا بانفعال:

— هل تتصورين أننى أتقوه بهذه الكلمات الموجعة بسهولة؟ هل تتصورين أننى لا أتمزق لمجرد ورود هذه الأفكار على مخيلتى، بالله عليك أنا لست أنانيًا ولكنه مجرد خاطر مر على بالى فى لحظة يأس.

أخذت أتخيل الخطوات الأولى لأبنائى، مراقبتهما وهما يكبران، كم مرة أحصيت أنفاسهما وهما نائمان لأطمئن على سلامتهما، هل يمكن أن أتركهما خلف ظهري بكل بساطة وألا أراهما من جديد، فاضت دموعى كشلال غاضب، مد يده مرة أخرى، ليعطينى منديلاً لمسح دموعى، احتضنت يده بكفى ورفعت عينى إليه، لمحت من ورائه قامة ريتشارد زميل نجاد بالعمل كان ينظر لى باستغراب ثم خرج مسرعًا من الكافيه.

شعرت بأن قلبى يكاد يقف، جحظت عيناي هزعا، لاحظت نديم هلعى:

— ماذا حدث؟

أشرت إلى باب الكافيه قائلًا بصوت مخنوق:

— إنه ريتشارد زميل زوجى، لقد رأنا.

حاول طمأنتى بأن موقفنا طبيعى، إنك تتناولين غداءك مع زميل لك فى العمل، لكنى أعرف زوجى وخيالاته المريضة، قمت مفزوعة مغادرة المكان وهو ورائى يحاول تهدئتى حتى ركبت سيارة أجرة إلى منزلى.

\*\*\*\*\*

جلست فى حجرة المعيشة وحيداً بعدما خرجت علا مع جومانة تاركة لى الأولاد ، تناولت هاتقى وأخذت أحاول الاتصال بميتاب مجدداً ، يومان مرا ولا أعرف شيئاً عنها ، لا تجيب على اتصالاتى ولا ترد على رسائلى ، يقتلنى التفكير عن مصيرها ماذا صار بينها وبين زوجها ، هل عرف بلقاتنا فى الكافية؟ هل واجهها؟

كم يعتصرنى القلق ، عندما يطوى النهار صفحته ، ويبدأ الليل ينفث روحه و همس كائناته .

أرفع ناظرى لأجد ابنى يقف أمامى ، ترتسم على وجهه سحابة حزن تزيد سنوات عمره الثمانية عدة سنوات أخرى .

— ماذا بك يا حبيبى؟

بصوت خافت لا يكاد يسمع :

— هل ستركنا يا أبى وترحل؟

تفاجئنى كلماته ، تضطرب ضربات قلبى تعلقو لتصم أذنى ، تتقاذف الهواجس داخل رأسى وتقذف فى وجهى بمئات من الأسئلة المحيرة ، هل كان يسمعنى عندما قلتها لميتاب؟ أم سمعها من أمه؟ ابتلعت ريقى بصعوبة أخذته بين ذراعى وقلت له بصوت حنون مرتعش :

— من قال لك هذا الكلام يا حبيبى؟

— بيتر زميلى فى المدرسة أخبرنى بأن والده تركهم ورحل مع امرأة

أخرى.

تتهدت ارتياحًا وحمدت الله ، طمأنته بأنى لا أستطيع الحياة بدونه  
هو وأخوته وإننى لن أتركهم أبدًا.

رن الهاتف ، جاء صوت جان فرحًا مسرورًا :

\_ افتح CNN بسرعة ، واضح يا نديم أن الشعوب العربية بدأت تقوق  
من سباتها العميق ، انهم بدأوا يفتحون أفواههم خارج عيادات  
أطباء الأسنان.

\_ ماذا حدث يا جان؟

\_ من الواضح أنك فى غيبوبة ، يا حبيبي نجاح ثورة تونس وهروب  
رئيسها جعل فنار الوطن العربى ينير من جديد اليوم ، لقد نزل فى  
مصر آلاف المتظاهرين فى شوارع القاهرة وعدة مدن أخرى فيما  
أسموه يوم الغضب.

\_ ماذا تقول؟؟

أغلقت الهاتف وأخذت أراقب شاشات التلفاز ، متقللاً بين القنوات  
الاخبارية ، كان آلاف المتظاهرين من كافة طوائف المصريين فى  
الشوارع يرددون عيش ، حرية ، عدالة اجتماعية . غزت جسدى قشعريرة  
الحماسة ونشوة الحرية حملت ابنى وأخذت أصيح بأعلى صوتى مصر  
.. مصر .. تحيا مصر .

\*\*\*\*\*

قاربت الفرشاة الصغيرة من شعيراتى البيضاء لإخفائها تحت لون  
الصيغة ، كم سئمت أن أتجمل وأرتدى العارى والمثير والتبختر أمامه ،  
مللت استمالاته والعزف على أوتار غراثزه ، إنه لم يعد لى ، ألمح فى عينيه  
الفتور وعدم الرغبة ، تلك العيون التى طالما بدرت بذور الحب بدرى ،

وزرعت النعناع والياسمين ليلتف حول قلبي درعًا حاميًا . كان شجرة وارفة أفىء إليها لأطفء فى ظلها لفحات هجيرى ، فأصبح صبارة لا تظل بل تدمى من يقترب منها . أترك الصبغة على شعرى عدة دقائق ، أذهب لأراقب شاشة التلفاز ، مازال ما يحدث فى مصر يجذب انتباه فضائيات العالم بأسره ، قناة الجزيرة تعرض مليونية فى ميدان التحرير الكل يردد على قلب رجل واحد "الشعب يريد اسقاط النظام" . نعم كلنا نريد اسقاط ذلك النظام الأبوى الذى يفرض العيش تحت وطأة شروطه الخاصة كم ظلمت نفسى لعدم تحقيقى ذاتى بإكمال تعليمى الجامعى وخوض غمار مجال العمل للاعتماد على نفسى كليًا دون الاعتماد على رجل قد يعطينى ظهره لملاقاة أخرى لمجرد شعوره بالملل منى .

يرن جرس الباب ، أذهب لأفتح ، كانت جومانة ، تدخل بوجه بشوش :

— أين أنت لا تجيبين على هاتفك؟

— ربما لم أسمعاه .

— المهم عندى لك خير بمليون دولار .

— إلحقينى به .

— المشروع الذى طالما حلمتى به ليؤمن لنا استقلالنا المادى عن أزواجنا .

— بجد

— طبعًا بجد ، فيلا والدى التى توجد على مقربة منك ، سنحولها

إلى دار متكاملة لرعاية الأطفال من حديثى الولادة إلى سن ثلاث

سنوات .. ما رأيك؟

احتضنتها بشدة :

— أنت لا تعلمين مدى سعادتي .

— ولقد ذهبت اليوم إلى مبنى بلدية العاصمة وقدمت طلباً للحصول على رخصة مزاولة ولقد حددوا الأسبوع القادم لقدم لجنة لمعاينة المكان.

— أنت عظيمة يا جومانة .

نظرت جومانة إلى شاشة التلفاز قائلة :

— أرى أن سقف المطالب قد وصل إلى تغيير النظام .

— تعرفين جومانة إن حالي يشبه كثيراً حال مصر ، فهي محتلة باحتلال بلون الوطن كما إنني محتلة بحب رجل لا يريدني ، هي تريد الاستقلال وأنا بت مسكونة بفكرة الانفصال.

— ما هذا الكلام أين قناعتك بما سمعته في محاضرة جمعية المرأة ، المحافظة على أسرتك والمحاربة من أجل حب حياتك.

— لا فائدة جومانة لقد حاولت كثيراً بلا جدوى ، انه ليس نديم الذي أعرفه إنه شخص غريب.

— أرجوك علا لا تسمعي ما يحبط وتمسكي بحب حياتك.

— جومانة إن ما يهمني الآن هو المحافظة على أولادي وأن أحقق ذاتي التي أهملتها منذ سنوات طوال.

\*\*\*\*\*

مطعم ومقهى **Tarbouch** يقع على طريق **Hwy Lee** بأرلنجتون بولاية فرجينيا وهو عبارة عن مطعم مأكولات شرقية ويحيط به تراس ضخمة مغطى بمشمع مخصص كمقهى لتناول المشروبات وتدخين الشيشة ديكوراته على الطراز الحديث يلب عليها اللون الأحمر ، فالسقف

موشى بالمواسير الحمراء الضخمة والمقاعد من المعدن الخفيف ،  
وشاشات عرض عملاقة لمتابعة الأحداث العالمية الهامة مثل مباريات  
كرة القدم ، لكن هذه الأيام الشاشات كلها لا تفارق القنوات  
الإخبارية والأحداث الجارية فى مصر والوطن العربى والتي عرفت  
بثورات الربيع العربى.

ما يميز طربوش أن نادلاته جميعهن من الروسيات الجميلات اللاتي  
يرتدين الزى الموحد ذا الألوان المبهجة والابتسامة لا تفارق وجوههن ،  
ويملك المطعم عائلة لبنانية .

دعانا اليوم جان للاحتفال بليلة وداع عزوبية سامى ، الذى اختار  
إحدى قريباته لتكمل معه مشوار حياته ، فتاة مهيبة على قدر من  
الجمال ، رآها فى حفل زفاف ابن أخيه الذى حضره فى مصر منذ  
شهر ، أعجبه فيها هدوءها وخجلها ، وعندما رشحها له أخوه لم يتردد  
فى طلبها للزواج ، فهو يريد أن يخرج من كهف هيلين المظلم لتشرق  
شمس حياته من جديد . دخلت إلى قاعة المطعم لمحت جان كعادته  
يتبوأ مائدته المفضلة فهو إذا كان يعامل كلورد فى Hookah Bar فهو  
يعامل كصاحب مكان هنا لصداقته مع ملاك منذ الطفولة.

احتضنت سامى مهنتاً ، نظرتى جان قائلاً :

— رأيت خطاب الرئيس المصرى وإعلان عدم ترشحه مرة أخرى  
للرئاسة وعزمه أن يموت ويدفن فى مصر ، لقد أبكى العرب.

رد سامى :

— لولا بلطجية حزيه ومهاجمتهم فى الصباح الثوار بميدان التحرير  
بالخيول والجمال والأسلحة لأنفض الاعتصام وهدأت الأمور.

عقب جان :

— هذا من غباء النظام ، فإن الثوار يدعون إلى مليونية فى الرابع من فبراير يطلقون عليها جمعة الرحيل ، يطالبون فيها برحيل الرئيس وتتحية عن الحكم .  
قاطعته قاتلاً :

— جان لقد جئنا اليوم للاحتفال بسامى فدع ثورة مصر لثوارها فهم أجدد بأن ينجحوها ودعنا نحتفل بسامى .  
نظرت إلى سامى قاتلاً :

— هل قفلت صفحة هيلين نهائياً؟  
نظر لى بجدية وهو يقول :

— فى بعض الأحيان نديم لا يفيد قلب الصفحة ، بل يجب عليك تمزيقها .  
ابتسمت له :

— الآن عرفت أنك نسيتها تماماً ، ألف مبروك عليك حياتك الجديدة .  
قام سامى مليئاً نداء أحد أصدقائه فقال لى جان :

— ماذا بك؟ نظراتك شاردة وواضح من حديثك أن هناك ما يشغل بالك .

— إننى أعانى من بعض التوتر لدرجة أننى أفكر فى أن ترتب لى ميعاداً مع طبيبك النفسى .

— قرار صائب تماماً ، لقد بت مقتنعاً بأن على الإنسان الطبيعى أن يذهب لزيارة الطبيب النفسى مرة على الأقل كل عام .

\*\*\*\*\*

تناولت القلم وبدأت أخط على الورق الأبيض بما وجود به عقلي  
"كانت نفس جبران تهفو دائماً إلى المصارحة والمجابهة وجلد الذات  
فيسألها ترى هل أنا وحدي المأخوذ بالصغير المحدود دون العظيم  
الفسيح، ترى هل أنا وحدي رهين الظلمتين الأنانية والاستكفاء، ترى  
هل ولدت وحدي عبر الفيوبيتين الجحود والنسيان"

يستعصى القلم في يدي أن يتحرك ويأبى عقلي أن يتوقف عن  
التفكير في ميتاب ومصيرها المجهول وها هو موعد تسليم موضوع  
جبران يقترب ومازلت غير قادر على إكماله. شعرت بالملل والرتابة  
تخفنتي، نظرت في ساعة يدي، تشير إلى الحادية عشرة والنصف،  
لملمت أشياء وغادرت المكتب هابطاً إلى بهو المبنى استرعى انتباهي  
منذ فترة انني لم أعد أرى ذلك الشاب العنصري، توقفت سائلاً عليه  
أحد زملائه، أخبرني بأن الإدارة أقالته من وظيفته، شعرت بالارتياح  
عند سماعي لفضة إقالة فهي بداية لنيد التعصب والعنصرية من المجتمع  
الأمريكي بأسره، فما إدارة البناية إلا شريحة من المجتمع.

رن هاتفى معلناً قدوم رسالة، أخرجته من جيبي، خفق قلبي بشدة  
عندما لمحت عيني كلمة ميتاب تضييء الشاشة، فتحت الرسالة  
بلهفة بالغة، كانت مقتضبة "قابلني ضروري الآن في مطعم Guarako  
استقليت سيارتي التي كانت معي اليوم بالمصادفة، وأخذت أتساءل  
طوال الطريق، لماذا اختارت ميتاب هذا المكان البعيد ٩، إنه يوجد  
على طريق ويلسين بأرلنجتون في فرجينيا.

Guarako مطعم أسباني وبه صالة لتدخين الشيشة وبار، كان  
المكان هادئاً، قليل الرواد في هذه الساعة لمحت ميتاب تجلس في  
صالة الشيشة ممسكة بكلتا يديها بمشروب ساخن تتصاعد أبخرته  
من فوهة كويه تحتمى به من صقيع الجو، كان شكلها مهملاً ترتدي

قبعة صوفية على رأسها وجينز وجاكت أسود اللون مغلق سخابه حتى أعلى رقبته، وتضع فوق عينيها نظارة سوداء تغطي معظم وجهها، جلست قبالتها قائلاً:

— أين أنت، كنت سأجن لأعرف أخبارك وأطمئن عليك؟

— أنا بخير.

— أرى أنك لست بخير إطلاقاً !!

مددت يدي ونزعت نظارتها الشمسية من فوق عينيها، هالتي ما رأيت، كدمة تفرش إزرقاقها الداكن حول عينيها وفوق حاجبها .

— من فعل بك هذا؟

أخبرتني بصوت حزين بأنها ذهبت إلى منزلها بعد أن تركتني مذعورة في الكافيه عقب رؤية زميل زوجها لنا عند مدخل منزلها، أدهشها رؤية وردة حمراء مشبوكة بالقرب من زجاج سيارتها، أمسكتها بفرحة معتقدة بأن زوجها من وضعها لها لمصالححتها عما بدر منه بالأمس حينما تناول عليها بالنسب عند مناقشتهم سوياً دخلت المنزل وجدته يقف متحفظاً في انتظارها، اقتربت منه ميتسمة، شاكرة له على الوردة الحمراء، صاح في وجهها بغضب بأنه لم يضع أى ورود وقال مستهزئاً:

— أكيد عشيقك الجديد هو من وضعها لك يا عاهرة .

أوقفتها دموعها المنهمرة عن إكمال الحكى، أخذت تمسحها بكلتا يديها مكملة بصوت ناشج:

كما قلت لك إن زميله سيخبره بأنه رأنا معاً، بل من الواضح أنه أضاف من وحي خياله الكثير من التوابل الحريفة لجعل حكايته مثيرة، وهذا ظهر جلياً في رد فعله العنيف، تصور أنه أمسكني من

ذراعاي بقسوة بالغة وصرخ في وجهي قائلاً "وصل بك العهر أن تمارسى الجنس مع عشيقك في الكافيه" أصابتني صدمة عنيفة، شعرت بالقهر والظلم، صحت بهستيرية في وجهه بأنك نديم زوج صديقتي علا المصرية وقابلتني صدفة وأصررت على دعوتي على فنجان قهوة وكانت جلستنا في منتهى الرقى والأدب، أنا لا أعرف نديم كيف نطقت بأسمكما في سياق حديثي الهستيرى، ربما لاعتقادي بأننى أضفى على حديثي نبرة صدق أو ربما للاستئناس بهما في مواجهة هذا الطاغوت، لا أعرف نديم لقد كنت في حالة انهيار، ومن الواضح أن كلامي لم يقنعه، نظر لى بشيطانية، لمحت في عينيه لأول مرة الكره لى، شعرت بأنه رجل آخر غير الذى أحببته يوماً، وأرتضيت به زوجاً أعيش فى كنفه آمنة. فى لحظة ترك ذراعاي ورفع قبضته موجهاً لوجهي لكمة قوية وهو يصرخ فى: "أوتنطقين باسمه يا عاهرة" اختل توازنى لترتطم رأسى بعنف بحافة مائدة الطعام وأنا فى طريقى إلى الأرض، لأسقط مغشياً على ولم أدر بنفسى إلا وأنا ممدده فى إحدى المستشفيات، وتقريرى الطبى يشير لى، ارتجاج فى المخ وخشونة فى الفقرات العنقية، مدت يدها لتنزل سحاب الجاكيت لتظهر رقبة بلاستيكية تحيط بعنقها، إضافة إلى عدة كدمات فى أنحاء جسدى. وعرفت أن الجيران هم من استدعوا البوليس والاسعاف.

اضطربت أفكاري وأنا أسمع منها بأنها أفصححت لزوجها عن اسمى، لكنى تمالكت أفكاري وهدأت من روعها وسألتها:

— أين تقيمين الآن؟

— أنا والأولاد نقيم فى منزل ابنة خالتي بعد خروجى من المستشفى أمس وهو فى الجوار، لذلك فضلت أن نتقابل هنا، لأنى ما زلت لا أقوى على الخروج لمسافات بعيدة. أنا بمجرد أن تمالكت قواى

اتصلت بك لأقابلك وأحذرك من هذا المجنون .

قالتها ووقفت بحرص:

\_ أنا يجب أن أغادر الآن .

\_ سأرافك حتى المنزل .

\_ لا داعى فابنة خالتي تنتظر فى السيارة ، المهم أن تتوخى الحذر

لأن هذا المجنون هددنى بالانتقام منك عدة مرات.

ابتعدت بخطوات متعبة منكسرة ، بينما مكثت مكانى صامتاً ساكناً مشلول التفكير فيما سمعته.

السيارة تشق الطريق بصعوبة وسط الجليد المتساقط ، الذى طالما يكسو الأشياء بلون النقاء ، إلا أنه اليوم كان فى عينى كغول أبيض يبتلع أمامه الأشجار والنبات البنائيات التماثيل وأسفلت الطريق ، كل شيء من حولى يزيدنى وحشة تغلق القلب.

أوقفت السيارة أمام منزلى لكنى لم أفوق على مغادرتها ، أشعر بأن الجو خانق رغم برودته ، أنزلت زجاج السيارة ، لفتح وجهى الهواء البارد ، استنشقتة ملء صدرى عله يريحنى ، شرخ سمعى مواء قط جائح ونباح كلب ضال وسديم الليل من حولى زادنى رهبة ، أنظر إلى نافذة منزلى ، نديف الجليد يهطل عليها متبداً ليفطى معظمها ، ألمح خيال علا من وراء ما تبقى من زجاجه ، يؤنس وحشتى ، كم أحسدها على قوة ارادتها ومثانة شكيمتها على مواجهة المشاكل وإدارة حياة أسرتنا وصبرها واحتمالها سلبيتى وأنانيتى.

شردت متسائلاً هل كل ما جرى حقيقة كالحلم أم حلم كالحقيقة ، وهل على حقيقة أن أعبر هذا الباب وأعترف لزوجتى بخيانتى لها . فالحل الأمثل لهذا المأزق إعطاء مصداقية لرواية ميتاب

لزوجها بأنها صديقة علا . لذا يجب أن تقرر علا بذلك لمن يسأل . لكن كيف أخبرها ؟ وبماذا ؟:

"إننى أحب امرأة أخرى وأن زوجها سيقتلنى إلا إذا ذهبت له وأخبرته بأنك صديقة زوجته" أم أعترف لها ببساطة "علا يا حياتى إننى ألهم مع أخرى تدعى ميتاب وأريدك أن تتصلى بزوجها وتخبريه إنك صديقة حميمة لها وأن زوجى قابلها صدفة فى الـ Lunch Time" . أم يا ربى أشعر بأننى أصبحت ظلاً بلا أصل كلمات بلا أحرف ، كم قاسية الحياة ، بل كم نجعلها نحن قاسية بأفعالنا .

لكن للأسف هذا هو الحل الوحيد ، فلو عرف الرجل أن ميتاب قد كذبت عليه ، فسيكون انتقامه منا عنيفا ، فهو يعمل فى إحدى الجهات الأمنية ويجهد بسيط منه يستطيع أن يصل إلى ويؤذنى فى بيتى وعملى بل إنه ممكن أن يقتل ميتاب المسكينة .

ترجلت من السيارة ، كانت صدئى خطواتى ترتجف كلما اقتربت من عتبة الباب ، توقفت أمامه ، سكنت حركتى للحظات حتى أتمالك ساقاى وتلاشى رعشتهما ، بيد راجفة وضعت المفتاح فى الباب وأدرته ببطء فاجأتنى بوجودها بقرب الباب.

\_ أخيراً عدت ، أين كنت؟ لقد تأخرت كثيراً عن موعدك وهاتفك مغلوق .

\_ أنا أسف يا علا .

\_ أحضر لك شيئاً تأكله .

\_ لست جوعاناً .

ماذا أصابه؟ يقف شاردًا تائهاً ، يهذى بكلمات غير مفهومة .

\_ أهلك شيء؟

يقترِب مني، ألمح في عينيه نظرة استعطاف، إنني أعرفها جيداً إنها عنوان لوجود مشكلة أوقع نفسه فيها

– علا.. أريد أن .. أن .

– ماذا بك نديم؟ أهنالك مشكلة.

بأنفاس لاهثة، يخرج صوته ضعيفاً مهزوماً:

– نعم علا، نعم هنالك مشكلة كبيرة .

– أرجوك، اهدأ، اهدأ.

سحبته من يده وجلسنا سوياً في حجرة المعيشة .

– خذ نفساً عميقاً واحك لي بهدوء.

بصوت خافت متردد:

– علا.. لا أعرف كيف أبدأ؟ ولكنني أعرف أن قلبك رحيم وعقلك راجح وسوف تقدرين ما أقوله.

بدأ يحكي ويعترف ضمناً بمعرفته بأخري؟ قال أنها صديقتة وأنه كان يتحين الوقت الملائم لكي يعرفني عليها، أخذ يسهب ويشرح ملابسات الورطة التي وضع نفسه فيها . سال مني صمت ممزوج ببكاء مر وأنا أسمع تفاصيل خيانتة لي على الرغم من أنه يكسوها برداء الصداقة البريئة، إن مشاعري تجاهه احترقت بالنظر على مدار الشهور السابقة إلا أنها تفحمت الآن باليقين، وجدت نفسي أثور في وجهه عندما نطق أمامي باسمها.

كفي نديم كفي، أي صداقة تتكلم عنها بين رجل وامرأة أنت تخدع نفسك إنه حب نديم عشق تكتوى بناؤه ألا ترى نفسك، على فكرة لقد رأيت صورتها على الـ Laptop عندما نسيتته مفتوحاً وأعترف

لك أنها أجمل منى.

— أرجوك علا لا تقولى هذا.

أرجوك أنت لا تقاطعنى ولا تحاول أن تجمل موقفك ، إننى أعرف أنك تخوننى منذ زمن ، فكم من ليالٍ عدت متعباً مرهقاً تفوح منك رائحتهن وتلوث ملابسك بقايا شعرهن ، واكتسبت شفتاك طعم شفاههن ، كنت أتجاهل وأرعى جفنى وأكذب شفتى ، وأهون على نفسى قائلة إننا فى مجتمع مفتوح ، تيار الإغواء فيه جارف فكنت أدخل ما يحدث منك من باب النزوة ، لكنك لا تكتفى ولا تشبع فنزواتك لا تنتهى فمن الواضح أنها فى جيناتك فأنت لا تستطيع أن تكتفى بواحدة فمثلك لا يجب عليه أن يرتبط ويكون أسرة ، لأنه لن يكون حريصاً عليها بل لا يتوانى بأن يخاطر ويقامر ببقائها من أجل متعته وأنانيته المفرطة ، لكن هذه المرة نديم لم تكن نزوة لقد وقعت فى غرامها .

يقاطعنى

— ماذا تقولين؟ أنت لا تفهمين.

أوقفته بصوتى العالى الغاضب:

— قلت لك لا تقاطعنى ، نعم أنت أحببتها فمنذ شهر وأنا أراقب تصرفاتك ، اهتمامك بمظهرك ولياقتك ، شرودك معظم الوقت ، الساعات الطويلة التى تقضيها على الـ Laptop بحجة العمل ما أصاب مشاعرنا من صمت طويل بارد ، حتى مشاركتنا الفراش أصبحت شيئاً روتينياً خالياً من العواطف . وتأتينى اليوم لتخبرنى بأنك واقع فى مصيبة يمكنها أن تعصف بما بيننا وأن الحل فى يدي ، فعلى أن أتحمل خيانتك لى وأن أخبر من يسألنى بأننى صديقة عشيقتك وأنها قابلتها مصادفة لكى أحملك وأحميها

من بطش الزوج المخدوع ، يا لقبحك وفجرك.

يصيح فى مقاطعاً :

– أرجوك ، كفى أنا معترف أنتى أخطأت فى حقك كثيراً ،  
لكنى لست إبليساً مبعداً من نعيم الله ولا ملاكاً مقرباً لكننى  
انسان ربما أكون عاصياً لكنى مؤمن برحمة ربي ومغفرته لى  
لأن توبتى خالصة له ، لكن أين مغفرتك أنت ؟؟ هلى أصبحت بلا  
قلب أو رحمة ، أين علا الحنون المسامحة الرحيمة .

يركع على ركبته قبالتى وينظر فى عينى بصوت ناشج :

– أين زوجتى الطيبة ؟ أين حبيبتى ؟ أين سكنى ؟ أين ذهبت ؟

لا أنكر أنه هزنى ، زعزع غضبى وسخطى منه ، تذكرت لحظتها  
نصائح مسز ويتى للمحافظة على الأسرة تأملته وعرفت كم هو  
ضعيف هش ، يحتاج دائماً لحائطلى ليستند إليه ، لكهفى نياوى إليه  
من المخاطر ، لكن أين أنا من هذا كله ؟

قلت له بصوت قوى :

– سأساعدك نديم ولكن ليس لأنقذك أنت وعشيقتك ، بل لأنقذ  
سمعة هذه الأسرة التى طالما شقيت فى بنائها ، لكنك لا تنتظر  
زوجتك التى كانت ، فلقد نسجت بأفعالك شبكة فاصلة بيننا  
من خيوط قوية متينة لا تبلى أو تشييط إلا برجوع نديم الذى  
كان.

قمت متجهة إلى حجرة نوم الأولاد معلنة الانفصال إلى حين عودة  
نديم الشاعر من توهته.

\*\*\*\*\*

فى أحد المباني التابعة لمباحث FBI بجوار مبنى البنجابيون بولاية فيرجينيا يعمل نجاد مشتهرى كمهندس برمجيات، يجلس فى مكتبه منهمكاً أمام حاسوبه بوجه بآدى الجهامة، يتوقف عن العبث بلوحة المفاتيح يفتح أحد أدراج مكتبه، يخرج قارورة فضية صغيرة للخمر، تجرع منها عدة جرعات ثم أدخلها مكانها بسرعة.

سمع طرفاً على باب مكتبه، انفرج عن سكرتيرته .

\_ ماذا هناك؟

\_ أحدهم ترك لك هذا المظروف.

تناوله المظروف وتخرج، يقلبه فى يده، مزق طرفه وأفرغ محتوياته، دقق النظر فى الأوراق التى كانت بداخله عدة لحظات، ألقى بها بقوة على المكتب وتحولت جهامة وجهه إلى غضب عارم، اندفع من فهمه سيل من السياب.

" العاهرة بنت الحرام تريد الطلاق لتتعم مع عشيقها ، أنا من طوعتها وشكلتها من جعلت منها امرأة ناضجة تريد الآن هجرى وتذهب لآخر، من أجل لذتها ومتعتها ، أنا من ألقمتها الجنس حتى الثمالة ، كم غرزت أظفارها فى ظهرى كشفرة موسى من تلذذها وتربعها على قمة الأورجازم ، لكنها لا ترتوى ولا تكفى منذ أن هيات لذلك المسخ أن يقتصبها وهى أصبحت شرهة نهما لا تشبع وكأنه أعطى لها شيئاً تفتقده وتبحث عنه عند كل رجل تقابله ، ويقولون أن المرأة تشبه

الأفعى إنها مقولة كاذبة لأن هناك أنواع من الأفاعى غير سامة."

"تلك العاهرة تحتمى وراء أكاذيبها وتدعى أن عشيقها زوج صديقتها  
قابلها مصادفة ودعاها لفنجان من القهوة لكن قريباً ستجلى الحقيقة  
وأصل لهذا الرجل الغامض وأناكد من علاقته بها"

اندفع إلى مكتبه، وفتح أحد أدراجة، تناول مسدسه، قبض عليه  
بقوة، وأرتسم على ملامحه فيضان من الفيض متمماً:  
ستندمين يا قحبة.

\*\*\*\*

مللت الجلوس فى المنزل منزوياً فى إحدى الحجرات، أتوجس من كل  
قرعة على الباب، وكل رنة هاتف أتخيل صوت أحدهم يسأل عنا.  
تبيت تفكير وتخمين من أين سيأتى لى الإيذاء، هل لديه السلطة  
ليحيك لى قضية مخدرات أو قتل؟ أو ربما يكتفى بطردى من عملى،  
هل يذهب به عقله المريض بأن يؤذى أحد أطفالى أو علا؟ آه يا ربى  
ماذا جلبت على نفسى؟ لقد قاربت على الجنون.

تحت ضغط اتصالات خوسيه وخوفى بأن أعطى لأحد الفرصة لإيذائى  
فى عملى تشجعت ونزلت إلى العمل مل رجال أمن البناية من كثرة سؤالى  
لهم "هل سأل أحدهم عنى؟" مع مرور الوقت بزغ داخلى شعاع خافت من  
الإطمئنان أخذ يقوى مع الأيام، أطمئن نفسى قائلاً بأن تهديدات زوجها  
ربما تكون وليدة للحظة الغضب والانفعال وقد نسيها. قرع باب مكتبى،  
انفرج عن جانبى توقعت سراً أتياً فى وقت لا يلائم نفسيتى السيئة وما أمر  
به من أوقات عصبية، دعوتها للجلوس على مفضل، جلست ونظرت لى  
بوجه باسم أزال قللى، قالت بصوت ناعم:

— نديم أرجوك تقبل اعتذارى.

شعرت بأننى أحلم، جانبيت تريد منى أن أتقبل اعتذاراً منها، وترجونى، أحسست بأن معاناتى كلها قد خفت عن كاهلى.

— تعتذرين لى عن أى شىء؟

— عن آرائى التعسفية ضد العرب والمسلمين، واتهامهم فى أحداث الحادى عشر من سبتمبر.

— ولماذا هذا التغير المفاجىء؟

— إنه ليس مفاجئاً لقد أخبرتك من قبل أننى أبحث وأنقب لأصل إلى الحقيقة وطوال السنين السابقة قمت بقراءة معظم ما كتب وألف عن هذه الأحداث وسمعت الكثير من التحاليل. وجدت نفسى قاربت على فقدان عقلى . صدمت بتساؤلات لم أجد لها إجابة عند أحد . فمثلاً كيف يمكن لقراصنة من تجاوز الأنظمة الأمنية جميعاً ؟ لماذا لم يكن على متن واحدة من الطائرات الأربع ولا مسلم واحد برىء؟ كيف أمكن اكتشاف المتهمين الرئيسيين خلال يومين فقط ؟ ولماذا لم تنشر معلومات الصندوق الأسود الذى عثر عليه؟ وأين باقى الصناديق السوداء للطائرات المحطمة؟ وغيرها الكثير من الألغاز التى جعلتنى لا أنام الليل. فى النهاية اكتشفت أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر أحجية تضاف إلى الأحاجى الغامضة فى تاريخ بلدى كمقتل جون كنيدي وروبرت كينيدي ومارتن لوثر كينج وغيرها لذلك قررت أن أقف وأعلن أن هذه المأساة ليست لها خاتمة، لذلك من الظلم أن أضع فى قفص الاتهام أناساً ربما يكونون أستخدموا كدمى فى خيوط لعبة كبرى. لذا وجب على أن أتى اليوم وأعتذر لك وأن نهى ما بيننا من خلافات فالحياة قصيرة، أقصر كثيراً

من صراعات البشر.

— عندك كل الحق يا جانيت، أنا أيضًا مدين لك باعتذار عما بدر مني تجاهك من مضايقات في الفترة السابقة وأعترف لك أن معظم ما قلته لك غير مقتنع به كنت أردده لمجرد استفزائك فقط.

فتح باب المكتب فجأة وظهر أحد المحررين صائحًا بفرح:

— مبروك نديم لقد نجحت الثورة في مصر وتنحى الرئيس.

— لم أدري ماذا أفعل؟ شعرت بنشوة عارمة تحتلني، أمطرت عيناى

بدموع الفرح، صحت بعلو الصوت تحيا مصر، تحيا مصر،

احتضنت المحرر وجانيت. صاحت جانيت:

— هيا إلى مكتب خوسيه لنتابع الأحداث على شاشة التلفاز.

اعتذرت منهما للذهاب إلى الحمام أولاً، أغلقت الباب ورائي، ووقت

أمام المرأة، أرى رجلاً خائناً بلا ضمير لا يعرف الشرف أو الصدق، رجلاً

مدعى ثقافة لا يعايشها أو يؤمن بها، ألمح قسمات شخص ماجن شهواني

اختزل العالم في جسد امرأة ترتدى البيبي دول، بينما الشباب الذى

طالما اتهمه جيلى بالاستهتار والتفاهة يفاجتنا ويقف عملاقاً مناظلاً من

أجل حرية مصر ومن أجل تحسين صورتنا في أرض الغربة.

من يصدق أن ثورة بيضاء كلون اللبن، تقلع نظاماً فاسداً تعمقت

جذوره لأكثر من ثلاثين عاماً أذاق فيها الشعب المصرى ألوان الهوان

.كم عظيم هذا الشعب علم العالم قديماً معنى الحرية وإرساء

المؤسسات وإقامة الدول منذ أكثر من سبعة آلاف عام، وها هو يلقن

العالم في القرن الحادى والعشرين درساً في قيام الثورات البيضاء.

ضربت وجهى عدة مرات بزخات الماء البارد، نظرت لنفسى في المرأة

ثانية، وأحسست براحة تفمرنى ربما لمواجهة نفسى لأول مرة بصدق.

ذهبت إلى مكتب خوسيه كان الكل مجتمعاً لديه ، التفتوا حولي مهنتين بسعادة غامرة وكأنهم مصريون ، قناة CNN تعيد مشهد البيان الذي ألقاه نائب الرئيس المصري الذي أعلن فيه تخلى الرئيس عن منصبه وتسليم مقاليد البلاد إلى المجلس الأعلى للقوات المسلحة.

اقترب منى خوسيه شد على يدي مهنتاً ، لمحت فى تهنئته شيئاً من التحفظ ، فهو دائماً يتخوف من الفوضى غير الخلاقة التى تعقب الثورات وهو مؤمن بآراء بعض الفلاسفة التى تقول أن الثورات مستمرة فى حياة المجتمعات الإنسانية طالما أن أمير البلاد لا يسوسها بعدل ولكن الثورات فى طبيعتها تحمل أمراضاً تحل بالمجتمعات الإنسانية كتصفية الحسابات والرغبة فى الانتقام والحقد والكراهية . وفى الثورات يريد الإنسان أن يحرر نفسه من العبودية والظلم وحكم الفرد والأوثان والمقدسات الكاذبة ولكن سرعان ما يخلقون أوثاناً ومقدسات زائفة جديدة.

ربما ما مر به خوسيه من تجربة شخصية مريرة مع القلاقل والانقلابات فى بلده الأم جعله متحفظاً مع أى تغيير سياسى يتم . بادرته قائلاً:

— ما رأيك خوسيه فيما حدث؟

— مذهل نديم ، أول مرة فى حياتى أرى ثورة بيضاء تنجح فى إقالة نظام ، ولكن من الملاحظ أن هذه الثورة ليس لها قادة ، إننى أرى مجموعة من الشباب عديمى الخبرة السياسية ، والخوف أن تسرق الثورة لصالح التيارات السياسية الخاملة وتتحقق مقولة تشى جيفارا "الثورة يفجرها مغامر ويخوضها تائر ويجنى ثمارها جبان" وما أكثر الجبناء متحيين الفرص فى هذا العالم.

— أنت دائماً متخوف ومتشائم من الثورات .

— لا أنت لا تفهمنى، أنا مع الثورات ولكننى دائماً أضعها آخر

الحلول عندما تفشل ايدولوجيات الإصلاح الدؤوبة.

أقاطعه بحدّة قائلاً :

— عزيزى خوسيه الايدولوجيات جامدة ومحافظة ودايمًا تقدم

التبريرات اللازمة لحماية مصالح الفئات الحاكمة فمثلاً

شعارات الحزب الحاكم للنظام السابق فى مصر وخطابات

زعيمه خير دليل على ذلك مثل "من أجلك أنت، من أجل مستقبل

أولادك، الانحياز للطبقات الفقيرة، حقوق المرأة رعاية الطفولة،

الاهتمام بالصحة والتعليم، القراءة للجميع".

وهى كلها شعارات كذبها الواقع وما كان منهم إلا استبدال

وئصوصية واحتكار للحياة السياسية والاقتصادية، واضعاف وإطاحة

بالتقوى السياسية الأخرى وتقييد الحريات وتجاهل التقدم العلمى

والاقتصادى، واللامبالاة بالمساواة والقانون وتخصيص الجزء الأكبر

من ميزانية الدولة للأمن لحماية النظام وتكريس حكم الفرد

والتوريث. وهنا تكتشف زيف الايدولوجيات ليفيخ الكيل بالشباب

فيخترع عالمه الافتراضى على Facebook وهو عالم تبدى للشباب

أكثر صدقًا وحقيقة من الواقع.

كان يستمع لى بانصات مدخناً غليونه ثم نفث سحابة كبيرة من

الدخان الأبيض أحاطته، جاء صوته الهادىء من ورائها :

— ما أستطيع قوله الآن نديم أنه يجب على الثورة أن تبث روحها لعدة

سنوات بنفس الصفاء وحسن النوايا من أجل تخليص المجتمع من

الصور السلبية والآفات التى أصابته وتجذرت فيه لسنين طوال

للوصل إلى مرحلة بنائه من جديد مما يرضى طموحها بإقامة العدل.

ابتسم فجأة وجه خوسيه وتهلل وأخذ ينظر وراء كتفى الذى شعرت بيد توضع عليه ، تلفت كان جان أمامى احتضننى مهتئاً :

— لم استطع أن أنتظر حتى المساء لأراك.

يتدخل خوسيه :

— هذا من حظى لكى أراك يا هراب .

— أنا أسف خوسيه لعدم حضور لقائنا الأسبوعى .

— على العموم نحن فى انتظارك هذا الأسبوع.

ودعنا خوسيه وهمنا بالمغادرة ، جئنى صوت خوسيه :

— نديم لا تنسَ الانتهاء من موضوع جبران .

— سيكون على مكتبك هذا الأسبوع .

غادرنا مقر المجلة ، أصر جان على دعوتى على الغداء فى أحد المطاعم القريبة ، كان مسروراً بالسعادة تطفح على وجه الأبيض المشرب بالحمر ، أخذ يثنى على شباب الثورة وجسارتهم على مواجهة بطش رجال الأمن ، ويشيد بموقف الجيش المصرى بوقوفه فى صف الشعب وتأكيديه بأنه جيش مهنى لا طائفى أو تابع للرئيس.

أوقفته عن حديثه وقلت له بأن سعادته طاغية وهى أكبر من فرحة بنجاح الثورة المصرية ابتسم واعترف بأننى دائماً أقرأه بوضوح وأخبرنى بأنه قرر السفر إلى لبنان بمفرده ليطوف ربوعها ووديانها ، غرغرت عيونته بالدموع وهو يقول :

— لسنوات طويلة كان على عيني غلالة سميكه تمنع رؤيتى

لها أو إحساسى بها لإيمانى بأنها من حرمتى من عائلتى لهذا كنت لا أطيق سماع أسمها يتردد حتى فى نشرات الأخبار أو رؤيته فى الصحف، لكنى الآن مزقت تلك الغلالة، الآن أشتاق لأحتضن أرضها ومبانيها ووديانها وشوارعها، كم أفادنى العلاج النفسى، آه على فكرة نديم موعداك مع الطبيب النفسى يوم الأربعاء القادم لا تنس.

— لن أنسى جان بالتأكيد سوف أذهب.

\*\*\*\*\*

أزحت عن النافذة ستائرهما وأخذت أتأمل نديف الجليد الذى يخفى كل شىء تحت رداثة الأبيض الناصع تمنيت أن يكسو قلبى بلونه الصافى ليعيد له نقاءه ويقشع عنه همومه، اليوم لم يكن لدى همة للعمل فى البيت أو إعداد الأظعمة المطلوبة منى فأعذرت لطالبيها، كانت الهواجس تتراقص داخل أروقة رأسى كأنها فرقة هيفى ميتال صاحبة تتصارع أنغامها المزعجة لتورقنى، تعبت من التفكير فيما يمكن أن يفعله زوج هذه المرأة فينا؟ هل لديه النفوذ لأن يفصل نديم عن عمله؟ أم لديه سطوة أن يؤذيه ويهدم عائلتى؟ هل كان خوف نديم على نفسه وعلينا أم على عشيقته؟ عندما طلب منى أن أخبر من يسألنى عنها بأنها صديقتى الحميمة لحظتها قرأت فى عينيه إنتظاره بأن أقول له، ما هو اسم زوجها وأين عنوانه لأذهب إليه وأنهى الأزمة فأنا أعرف نديم ككتاب مفتوح، لكنى خذلته ولم أقل. وها هو منذ انفصالنا ونومى فى حجرة الأولاد، كلامنا فى حدود تصريح شئون الحياة، لكنى أرى فى عينيه حتى على التصرف لحل المشكلة.

يخرجنى من هواجسى رنين الهاتف، كانت جومانة، جاء

صوتها فرحًا :

- مبروك يا ناقة نجاح الثورة.
- الله يبارك فيك، وأنت مبروك شفاء جان ورجوعكم لسابق عهدكم .
- لن تصدقنى يا علا، لقد قرر جان السفر بمفرده إلى لبنان تخيلى.
- خبر رائع.
- الخبر الرائع بجد هو أننى تسلمت رخصة مركز رعاية الأطفال.
- بجد، مبروك علينا يا جومانة.
- المهم أن تتفرغى لى تمامًا هذه الأيام لأنى أريدك معى لإعداد الديكورات وشراء الأثاثات واختيار العمالة التى ستساعدنا حتى نبدأ فى أقرب وقت.
- أنا طوع بناتك من هذه اللحظة، إن هذا المشروع بمثابة طوق النجاة لى ولأولادى من أية مخاطر
- لماذا أنت خائفة هكذا من المستقبل كونى متفائلة، على أية حال سوف أمر عليكِ غداً صباحًا، مع السلامة.
- قفلت الخط، وقمت متجهة إلى غرفة المعيشة، كان نديم يجلس وحيدًا متأملًا فى لوحة الأشجار المعلقة أمامه فى شرود، لأول مرة أراه بدون الـ Laptop، فلم تعد هناك رسائل تصل منها، لذا فهو شارد الذهن نائه يتعذب لفراقها، يكتبونى بنار بعادها، فقد عدة باوندات من وزنه فى أيام، ولا يفعل ذلك سوى السهاد.
- أدخل حجرتى أنظر فى مرأتى . أراك نديم قد سلبت منى نفسى،

ولم تترك سوى الفراغ، أحاول أن أملاً مساحات الفراغ بأفكار وأحلام  
عدة لكنها لا تصلح وتبقى فجوة لا يملؤها سواك لكنى أعدك بأنى  
سوف أرقع نفسى بنسيانك ومحوك من أروقة قلبى.

\*\*\*\*\*

كانت قدماى تسرعان الخطى، فمنذ أن أخبرنى جان بموعد الطبيب  
النفسى، ونفسى تتوق لهذه المقابلة عيادته تقع بالقرب من عملى، دلفت  
من بوابة البناية، اتجهت إلى موظف الأمن مستفسراً عن عيادة الدكتور  
صامويل دينزل، استقلت المصعد للدور الخامس، كانت العيادة تتسم  
بالرقى، تتساقب من أرجائها موسيقى هادئة تريح الأعصاب، استقبلتني  
منسقة المواعيد، أدخلتني للطبيب. كان فى غاية الأناقة، طويل القامة  
قمحى البشرة ذو قسماى أفريقية تفصح عن أصوله، يدخل السيجار  
ويضع عدسات طبية، دعانى للجلوس أمامه، أخذ يسألني بعض الأسئلة  
الروتينية عن اسمى وعملى وهل أعانى من أى أمراض عضوية ؟  
ثم وقف ودعانى للاستلقاء على أريكة فى جانب الحجرة، وجلس هو  
على قوته بجوارها، مد يده مخفضاً ضوء الأباحورة التى بجواره، طلب  
منى أن أخبره بما يقلقنى، حكيت له قصتى مع الإغواء مروراً بغزواتي  
النسائية منتهياً بعلاقتي بميتاب .

وقف واتجه إلى مكتبه ثانية ودعانى للجلوس أمامه، ابتسم لى  
وهو يشعل سيجاره بأخذ عدة أنفاس متعاقبة منه، نظر لى وهو يخبرنى  
بأننى أضفت إلى قائمته الخاصة للإغواء بنداً جديداً وهو قيادة سيارة  
ليموزين تعرف سيد نديم المرأة أشبه بالماء والتراب أما الرجل فهو  
أشبه ما يكون بالهواء أو النار وكما تعلم أن التربة تعنى الاستقرار  
أما النار والهواء فهما يمثلان الحركة والاندفاع والتغير الدائم، لذا  
فالحب فى نظر المرأة يعنى الاستقرار والألفة أما الرجل فنظرة الحب

عنده تعنى اللذة الخاطفة والاستمتاع العابر لهذا فهو يعيش سريعاً ويميل ويهجر أسرع.

قاطعته قاتلاً:

— أفهم من ذلك أن الرجل يمكنه أن يحب أكثر من واحدة فى آن واحد .

يبتسم قاتلاً:

— نعم، يمكن للرجل ذلك ، ولكن ليس بنفس الاهتمام ودرجة الحب فالأولى كان يعيها ومع الأيام يتحول الحب إلى مودة نتيجة العشرة خاصة إذا كان بينهما ارتباط وأولاد وتأتى الثانية لتلهب عواطفه التى فترت بسبب الاعتياد والملل والسؤال هنا كيف تستوعب المرأة قلب هذا الرجل الذى يمكنه استيعاب أكثر من واحدة.

قلت له :

— هذا يفسر لى تغير أحوال زوجتى معى بعد اعترافى لها بمعرفتى بأخرى.

ينفض سحابة دخان من سيجاره قاتلاً بصوته الأجش:

— بالتأكيد سيد نديم المرأة لا يمكن أن تبقى على حب فقدت اعجابها به ، فهى من اختارت هذا المخلوق الذى وهبت له كل وجودها لذا تكون خيبة أملها عظيمة فى حالة خيانتة ، ويحتاج إصلاح هذه العلاقة الكثير من الجهد المضمن لبناء جسور للثقة بينهم.

— نعم الكثير من المجهود ، لكن يا دكتور أين الصداقة بين الرجل والمرأة ، أهى خرافة؟

يعتدل في جلسته قائلاً:

— الصداقة مستر نديم كما يقولون هي نسبة الروح كما أن الأخوة نسبية البدن، وصداقة الرجل والمرأة موجودة وليست خرافة، لكن نجاحها يتطلب وضع حدود قائمة على الاحترام مع افتراض عدم تطور هذه العلاقة، فيجب أن تعتمد على المصارحة والنقد بين الطرفين، ولا بأس بمعرفة الأهل بهذه العلاقة وقد يكون كلا الطرفين متزوجاً فهي علاقة بريئة ويكون الحديث فيها عن الأمور الحياتية والمشاكل الشخصية، ولكن للأسف هذا النوع من الصداقة نادر النجاح لأنه دائماً ما يتطور من كونه علاقة زمالة في العمل أو في الجامعة أو في المواصلات كما في حالتك، إلى حب يتطور من صداقة الخل الوفي إلى صداقة فراش.

أعارض بحدة:

— لكن في حالتى لم تتعدّ العلاقة أكثر من حب أفلاطونى .

يقف عن مكتبه ويدور ليقترّب منى، يضع يده على كتفى قائلاً:

— عليك سيد نديم أن تسأل نفسك بصدق. ماذا تريد من هذه العلاقة؟ هل تفكر فى تبعاتها على زوجتك وأولادك وعلى مستقبلك؟ هل هى نزوة جسد أم حب حقيقى؟، أنت ينقصك سيد نديم الخيال لتفكر ماذا بعد أن تنال هذه المرأة وانتهاء هورة الشهوة والرغبة؟ حتى ولو كان حبك صادقاً لها، فهل أنت على استعداد بأن تهدم كياناً عملاقاً كماثلتك من أجل هذا الحب؟

أنا جئت إليك اليوم لأعرف الإجابة.

يعود مرة أخرى لمكتبه يجلس، يشعل سيجارة ثم يقول:

— الإجابة سيد نديم عندك أنت وحدك، أنا واجبى فقط أن أنير لك

في جلساتنا القادمة، بعض النقاط تعينك على الوصول إليها.

نظر لي مسترسلاً:

– أيناسبك يوم الإثنين القادم في نفس الموعد .

هزرت رأسي موافقاً ومددت له يدي مصافحاً بطريقة آلية لإنشغال ذهني بما سمعته منه.

\*\*\*\*\*

أصرت ابنة خالتي على اصطحاب الأولاد إلى الملاهي القريبة من منزلها، لم أستطع مرافقتهم لإرهاقي طوال اليوم في مكتب المحامي للتفاوض على الطلاق مع نجاد، جلبت الـ Laptop وصنعت لنفسى فتجاناً من الشاي وخرجت إلى شرفة المنزل التي جذبتني بإطلالتها على غابة من أشجار السنط غاية في الروعة فعلى الرغم من أننا في فصل الشتاء إلا أنه مازال يعلق بها العديد من أوراقها التي جاهدت من أجل البقاء على فروعها كما أن اليوم صافٍ من الغيوم ودرجة البرودة محتملة كل هذا شجعتني للجلوس لمشاهدة منظر الغروب الذي أعشقه، عندما تلملم الشمس ضياءها وأشعتها وتنزوي عازمة الرحيل غارقة وراء غابة الأشجار العتيقة لتتخلل أشعتها الضعيفة أجسادها وأذرعها خالقة ألواناً مبهرة، مبهجة للنفس تنسى الإنسان همومه وأحزانه.

أخذت رشفة شاي من فتجاني، وفتحت الـ Laptop شارعة في بدء رسالة الوداع لنديم، بدأت أصابعي تترجم ما يجيش بوجداني على الشاشة عنونت الرسالة بالرحيل.

العزيز إلى القلب نديم هذه الرسالة الأخيرة بيننا وهي حق لك يمليه على ما بيننا من مشاعر حب ومودة لقد نجحت اليوم في الحصول على الطلاق من نجاد بعد مفاوضات شاقة وعسيرة معه إلا أنه أخيراً وقع

الأوراق بعدما تنازلت له عن كافة حقوقى المادية تجاهه وعن قضية اعتدائه على بالضرب لكن فى مقابل ذلك حصلت على حريتى وحق رعاية الأطفال وهذا مكسب كافٍ لى . وهذا من شأنه أيضًا أن ينسى هذا المأفون تهديداته بالبحث عنك وإيذائك. كما إننى تقدمت بطلب إلى عملى لننقل إلى فرعنا فى بوسطن ، نعم نديم سأعود إلى موطن نشأتى وولعى بشبه الجزيرة التى يحيطها مياه الأطلنطى ونهر تشارلز لطالما حلمت بالعودة إلى أثينا الولايات المتحدة ، مدينة المتطهرين ، سأعود لأتزه فى قوارب البجع فى خليج العودة لمشاهدة الغروب ، وأتمشى مع أبى وأمى فى طريق الحرية ، وأتسكع مع أختى فى شارع سالم بطرقاته الضيقة ، نجلس على مقاهيه ومطاعمه مستمتعين بأطعمته الإيطالية ، إنه قرار صائب تمامًا أن أعود لأكون فى كنف عائلتى.

بقى شىء فى نفسى يجب أن أخبرك به ، كثيرًا ما اتهمتكم بأنك أوقعتنى فى فخ حبك كأرنب صغير فى شباك صياد قدير ، لكنى أعترف لك بأننى قد رأيت منذ البداية شباكك وفخوخك واندفعت إليها بكل شوق عن طيب خاطر.

اتهمتكم بأنك غير صادق فى نصحى للمحافظة على أسرتى لكنى أعترف لك أنك كنت نعم العون لى بنصائحك وإرشاداتك الصادقة ولكن رعونة زوجى وعدم معاونته لى فى راب الصدع بيننا ، عجل بالنهاية.

اتهمتكم بأننى كنت أتفاضى عن أقوالك الفاحشة وملامساتك الخاطفة ، أعترف لك بأننى كنت أنتظرها وأترقبها بل كثيرًا ما كنت أهيبىء نفسى لها وأنت تسير بجوارى أنتظر ملامستك لمؤخرتى بل كنت أتمنى أن تجذبنى داخل أقرب بناية لتضمنى وتقبلنى لدرجة أننى كنت أبحث بعينى عن أقرب بناية مناسبة وأهيبىء نفسى للحظة ،

نعم نديم أعترف لك أنني أحبتك من كل قلبي، دائماً أنت في الصباح اسمك يتراقص على شفتي، سمتك أمام عيني، وفي الليل تطن برأسى دوماً كصداع لا ينتهي، استوليت على قلبي لكنك ستكون أغلى ما يمكن أن أضحي به في حياتي، يجب أن ندوس على مشاعرنا من أجل مستقبل أسرتينا، إن ما يصبرني نديم حينما تفصل المسافات بين الأعداء يتحول ما بداخلهم إلى كتلة من الحنين والشوق ترسم صوراً أكثر إشراقاً وسحرًا لتصير ذكرى خائفة تعيش معنا حتى مماتنا، أرجوك اذكرني دائماً في صلواتك في أمان الله".

\*\*\*\*\*

"أذكروني عندما ترى الشمس جانحة نحو الغروب وقد وشحت الطلول والأودية بنقاب أحمر كأنها تذرف لفرق لبنان الدماء بدلاً من الدموع.

اذكروني عندما ترى رعاة المواشى جالسين في ظلال الأشجار يملأون البرية انهادثة أنغاماً كما فعل أبولون عندما نقته الآلهة إلى هذا العالم.

أذكروني عندما ترى الصبايا حاملات على أكتافهن آنية الماء وهن ينشدن الأغاني المنسوجة في خيوط أشعة القمر الممزوجة برائحة الوادي".

كأنه كان يعرف أن ميعاد قطفه قد حان ففي الحادية عشرة إلا خمس دقائق من ليلة الجمعة الثالث عشر من إبريل عام ١٩٢١ في الغرفة ٣٠١ من المستشفى سانت فنسنت بنيويورك لم ينطفئ سوى لهاث الجسد أما روحه وقلمه وريشته باقون بقاء الحضارة الإنسانية. نقل الجثمان إلى بوسطن ودفن في مقبرة بنيديكت حيث يرقد أمه

وأخوته، وفي الثالث والعشرين من يوليو من نفس العام غادر الجثمان العالم الجديد من مرفأ بروفيدنس برود أيلند على متن الباخرة سنيايا إلى أرض الفينيقيين حيث مثواه الأخير بقريته بشرى، وصدقت مقولته حين قال "رب مآتم بين الناس هو عرس بين الملائكة" فجيران عاش في جسد انسان وروح ملاك، قالت له أمه يوماً:

– لو لم تولد لبقيت ملاكاً في السماء.

فأجاب:

– أنا لم أزل ملاكاً.

– وأين أجنحتك.

فوضع جيران يد أمه على كتفه قائلاً:

– ها هي متكسرة .

وكما رفض كاهن المارونية في بوسطن الصلاة على جثمانه بحجة أنه قبل مماته رفض الاعتراف بأنه كان كاثوليكيًا، ففي لبنان رفض المطارنة استقبال جثمانه وكانت حججهم هذه المرة أنه كافر مهرطق، لأنه ببساطة رفض الإيمان كالعوام بنقل الموروث المدجن في قوالب وأختار العقل ليصل للإيمان الكامل بالخالق عبر مراحل استيعابية . تحت ضغط سلطات الاحتلال الفرنسية قبل المطارنة الصلاة عليه.

صدق جيران في قوله "إن حياة الإنسان لا تبتدىء في الرحم كما أنها لا تنتهى في القبر" فهو كان ناقوساً مدويًا أفرح طنينه عن ملايين القراء من سجن العقل ليتأملوا الحياة ويعرفوا أنفسهم بوعى وفكر حر.

توقفت أصابعي عن العبث بلوحة المفاتيح، وأخذت أراجع ما كتبه على شاشة الـ Laptop، تنهدت ارتياحًا لانتهاى من موضوع

جبران ، تناولت كوب النسكافيه ورشفت آخر ما تبقى فيه ، جلث  
النظر حولي ، كان الكافيه يزداد ازدحاماً ، لمحت بطرف عيني  
واحدة تشبه ميتاب نفس القوام والشعر الحريري المنسدل بلا عوائق ،  
تذكرت القرار الذي على أن أتخذه بالتخلي عن واحدة منهما هي أم  
علا ، أه وأين هما؟

علاً لقد تغيرت كثيراً منذ انفصالها عني ونومها في حجرة الأولاد ،  
لم تعد كالسابق تشجعني على التصالح معها ، كلامها معي روتيني  
بلا مشاعر . سابقاً كانت من الممكن أن تسعى للاتصال بزواج ميتاب  
وتفهمه الموقف . لكن هذه المرة أشعر بأنها تريد لهذه المشكلة أن  
تتعقد كنوع من العقاب لي .

بنكنا أبلغني بأنها ألغت حسابنا المشترك ، وعندما سألتها أخبرتني  
بأنها فتحت حساباً مشتركاً مع جومانة للصرف على مشروعها وهي  
لا تريد أن تشتت حساباتها في أكثر من بنك . كأنها تريد أن تسليخ  
منى عاطفياً ومادياً . على الرغم من هذا فمئذ انفصالها وابتعادها عني  
جسدياً وروحياً ونفسي تهفو إليها ، أنتظر منها كلمة تشجيع ، بل إيماءة  
لكي أهرع إليها مصالحاً .

أما ميتاب فقد اختفت تماماً ، وتركت لي التفكير في مصيرها  
وماذا فعل بها زوجها؟ لكن الغريب أنني لا أشعر برغبة ملحة في  
الاتصال بها ، أريد فقط أن أطمئن عليها لشعوري بالذنب لتورطها في  
هذه المشكلة مع زوجها ، لكنني أحس بأن المساحة الهائلة التي  
كانت تحتلها في وجداني قد تناقصت . فهل كان ينقصني فعلاً أن  
أفكر في مستقبل علاقتي بها ، هل هو حب حقيقي؟ أم رغبة محمومة  
في جسدها .

أشعر بقوام يقف أمام مائدتي ، أرفع بصري ، أفاجا بجيسيك  
هوفمان يكسو وجهها ابتسامة باهتة اختلطت فيها السخرية بالتهكم ،  
قالت بصوت يفيض استخفافاً .

ها قد قام شعيك بثورة ضد الفساد ، فهل حفرك هذا لتثور على  
عقلك المريض ، فخسارة الثقافة الموسوعية تضيع في ردهات الملذات  
وتوهة المهز .

حاولت تحاشي نظراتها المتعالية بالنظر في لوحة مارلين مونرو التي  
أمامي ، كنت أريد أن أخبرها بأن الخائن المتسكع في طرقات دمائي  
قد أبطأ الخطى بل توقف ، كنت أريد لها أن تعرف أن الأيام قد قصت  
أجنحة عنقاء الخيانة ، قلمت التجربة مخالباها ، كنت أريد أن أعترف  
لها أنني بدأت علاجى النفسى من الشره الجنسى لكن قسمت وجهها  
المتهكمة وابتسامتها الصفراء ونظراتها الساخرة ، جعلتنى أبحث عن رد  
مناسب يثير غضبها ، رجعت من مناجاتى على قولها :

— أرجو أن تكون نظرتك للمرأة قد اتسعت ولم تعد مجرد جسد  
تخدم فيه شهوتك الحقيرة .

ابتسمت بتهكم مسترسلة :

— ومع ذلك أتمنى لك الشفاء أيها الخاسر من أجل الأيام الخوالي .  
تناهى لسمعى صوت يناديها ، تلفت نحوه ، وجدته صادراً من شاب  
وسيم في حلة سوداء أنيقة . نظرت إليها وقلت ساخراً :

— أراك لا تضيعين وقتك ، وجدتى فريسة أخرى أيتها الصائدة  
الماهرة .

نظرت لى فى حنق قاتلة بغضب :

— خاسر أحقق .

ابتعدت، شعرت بضيق يتأبني من المكان، أغلقت الـ Laptop ووضعتة في حقيبته وحملتها على كتفي وخرجت، وقفت أمام الكافيه مستنشقا الهواء البارد عله يعيد لى انتعاشى، نظرت إلى السماء، كانت أشعة الشمس تشق غطاء الغيم الداكن شديد الـركام فتولد خابية تشيع فى النفس الكآبة، سمعت نغمة الـ Blackberry تعلن قدوم رسالة أخرجته من جيب الجاكت وفتحته، كانت رسالة من متياب معفونة بكلمة "الرحيل" مررت عليها سريعاً بنظري كانت طويلة، توقفت وابتلعت ريقى وبدأت أقرأها من البداية بترو.

"العزيرز إلى القلب نديم هذه هى الرسالة الأخيرة بيننا وهى حق لك يمليه على ما بيننا من مشاعر حب ومودة ... اخترق سمعى فجأة صوت دوى، لدرجة أننى اهتزت من قوته، تلفت حولى مستجليا الأمر، ما طاف بخلدى لحظتها انه صوت انفجار دولاب إحدى سيارات النقل انضخمة، لاحظت هرولة المارة من حولى مذعورين، شعرت بألم حاد يمزق صدرى، نظرت إلى موضع الألم، اتسعت عيناي دهشة مما رأيت، بقعة حمراء تزداد رقعتها اتساعاً على قميصى، بدأ جسدى يترنح، تأكدت لحظتها أن ما سمعته كان طلقاً نارياً وكنت أنا الهدف، أفعلها زوجها؟ لم يخطر على خلدى هذه الصورة من الإيذاء، أو ربما طلق طائش من مهووس أو متعصب. تهاويت على أرضية الرصيف، آه ٠٠٠ الألم يتفاقم، أشعر برعشة تتأبني، فمى أصبح جافاً، ضربات قلبى تزيد، عرق غزير يببل جسدى، تحولت أنفاسى إلى لهاث. أصبحت لا أعبأ بالجمع المحتشد من حولى، ولا بالعيون المتطفلة التى تقتحم جسدى المضرج فى دماثة، تهادى لسمعى نفير سيارة اسعاف أوربما بوليمس، تحولت الأصوات المسموعة الجليلة إلى هسهسة ثم تلاشت ليرخى السكون سدوله، سعلت سعلة مهزومة وأنطقاً نور عيني فيما

\*\*\*\*\*

يعم المكان سكون تام لا يعكر صفوه سوى اختراقات الصافرات المتقطعة للأجهزة الطبية . تقف علا أمام الحائط الزجاجي ، تسمح بنظرها الجسد المسجي بلا حراك النابت منه عشرات الأنابيب والأسلاك الموصولة بأجهزتها الدقيقة ، تجفف دموعها بكفيها ، يثبت نظرها على وجه الهاديء الساكن .

أهذه هي النهاية يا نديم ، جثة هامة على سرير طبي ، تحيا بواسطة الأجهزة ، متمنية من ربها أن يرجعها إلى أرض الواقع ، كم حذرتك من شعور الخيانة المتقافز في رأسك ، كفضال لا يخاف غدارات القنص ، كم ناشدتك أن تتوارى خلف ظلال الفضيلة ، لكنك أبيت النصح وأخذت تتقافز من شجيرة لأخرى حتى أغتالتك اليد الفيورة .

تناهى لسمعي صوت كعب حريمي مكتوم إثر امتصاص أرضية المشفى الجرائيقية لوقعه ، كانت الخطوات متخاذلة لعدم انتظام ضربات الكعب ، أخذ الصوت يقترب في وجل ، تلفت جانبي كانت إحدى السيدات في تايبير أسود ، اقتربت ووقفت على مقربة مني ، أخذت تنظر إلى نديم ، تناهت نهنهتها لسمعي ، على الرغم من العدسات الطبية التي تضعها وشعرها المعقوص خلف رأسها إلا أنني عرفتها من الوهلة الأولى . إنها ميتاب بشحمها ولحمها . شعرت بشيء من الضيق يعتريني ، كم جرئية تلك المرأة ، ربما لو أنني لم أقرأ رسالتها الأخيرة على هاتف نديم لكنت الآن جاثمة فوقها مبرحة إياها كل صنوف الضرب والأذى حتى تزهب روحها .

إلا أنني تأكدت من رسالتها مدى جديتها في إنهاء علاقتها بنديم

برغم اعترافها بحبها له والدليل على جديتها نقل حياتها إلى بوسطن على الرغم من حصولها على الطلاق، كما أحترمتها لتنازلها عن كافة حقوقها المادية في مقابل إحتفاظها برعاية أطفالها .

كما أفادتني قراءة رسالتها في إثنتائي عن إخبار البوليس عن تهديدات زوجها لنديم حيث عرفت بفتور همته في البحث عن نديم بعد حدوث الطلاق، ثم ماذا كنت سأخبر البوليس؟ بأنني أشك في زوج إحدى عشيقات زوجي، ما أسمه؟ لا أعرف، ما عنوان عمله؟ لا أعرف . كنت سأبدو كالحمقاء بالإضافة إلى تشويه سمعة نديم بأنه زير نساء يجري وراء شهواته، سمعته التي أشادوا بها في محطات التلفاز والصحف وجعله الحادث صحفياً مشهوراً . فاجمعنا على أنها رصاصة طائشة من مجهول.

أفقت على نظرها لي قائلة بصوت متهدج:

— أنا أعرفك ولكنك لاتعرفيني، لقد تسببت في إيدائك، لذا أرجوك .. أرجوك أن تسامحيني .

وقفت برهة، ثم استدارت مبتعدة . توقفت إثر سماعها اسمها يتردد على نبرات صوتي المخدوش من كثرة البكاء:

— ميتاب .

استدارت مذهولة:

— أنا أسامحك .

قلتها وأنا أنظر لها بشفقة امرأة تقدر ما عانته وتعانيه . تعانقت نظراتنا، ثم استدارت مبتعدة بخطوات واثقة.

تمت

## أهم المصادر

- مقال بعنوان الصحافة العربية في ١- مجلة العربي العدد ٢١٢ يوليو  
أمريكا ١٩٧٦
- د.نديم السيار ٢- قدماء المصريين أول الموحدين
- عاطف عزت ٢- فرعون كان من قوم موسى
- رضا هلال ٤- تفكيك أمريكا
- ماتياس بروكروز ٥- ٩/١١ المؤامرة
- ٦- موقع ويكيبيديا على الانترنت
- اسكندر نجار ٧- قاموس جبران خليل جبران